عبد الله والمدينة

رواية

عبد الفتاح مرسي

رواية
عبد الله والمدينة
عبد الفتاح مرسي
الطبعة الأولى
دفقات للنشر

(تحت رعاية الجمعية المصرية للتكوين المعرفي)
كمبيوتر
EGYLIGHT Computer Center
م / أحمد محمد عبد الله

ت : ٠٣/٥٤٨٨١٥٢

رقم الإيداع

٢٠٠٥/٣٤٦٩

الكاتب عادة يكتب نفسه . ويتأثر بروؤس الأسهم الصادرة منه والمتجهة إليه.. وإن كان يتمتع بقدر من الوعي قدم عصره ، ومزج تجربته بمن حوله . وبذلك يتشكل الصدق في روايته .

ماركيز



١

[إذا ما تجرعت المدينة فنان الجعة فى بارات وكازينوهات الشاطىء .. تبولت نواتها الأمطار والسيول . وإذا ما حلت بالمدينة النوات الشتوية ، إصطكت أسنان الشوارع الطولية . وابتعدت الشواع العرضية عن البحر . لذا تفقد رقعة الشطرنج لاعبيها !] .

***

فى مدرسة " **السير وينجت** " الابتدائية – القديمة – زامل " " **عبد الله** " " الولد " **شارلى** " على تختة المدرسة التى بها ثقوب لدوايات الحبر . لم يدقق " عبد الله " يوما بأن شارلى يهودى الديانة إلا عندما انقطع شارلى عن المدرسة . وقالوا بأنه صحب أهله إلى " **البرازيل** " دون رجعة .. فقد باع والده أثاث بيته .

ومدرس التاريخ " الأستاذ " **رأفت شنودة** " ضحك وقال :

– على العموم البرازيل على وزن إسرائيل .

لم يضحك " عبد الله " معه وهو من المعجبين به . فقد كان حزيناً لفقد شارلى الذى كان يأتنس كل منهما بالآخر ، وهواياتهما تتقارب .

وكان " عبد الله " ولفترة طويلة يظن – كما صورت الأفلام السينمائية التى عرضت بعد الحرب – بأن الولد شارلى ذهب إلى البرازيل ليثرى هناك ، وإنه سيفاجأ بثروة هائلة تركها له شارلى أو أرسلها إليه من البرازيل!!

***

فى الأجازات الصيفية للمدرسة الثانوية . كان " عبد الله " مرعى يعمل بعقد مؤقت فى " **مطبعة** " شركة إيكا للحلويات . والمطبعة كان يديرها " **ألبير مناحم** " .. ومصنع الحلويات كان يديره " **موريس مناحم** " .. وشركة السجاد كان يديرها " **جوزيف مناحم** " .. وهم أولاد " **مناحم ليفى** " . الذى كان وجهه فى الصور الكبيرة المعلقة على جدران غرف الإدارات . لا يختلف كثيراً عن وجه " **سيد أفندى** " مدرس اللغة العربية قبل أن يتبنى تعاليم شعبة الإخوان المسلمين ، والتى أنشئت بجانب مكتبة " **فارو** " بباكوس .

كثير من بنات اليهود وشبابهم ، كانت تعج بهم المدينة . وكان " " **عبد الله** " " يحتك ببعضهم فى تعامله اليومى ، إذا ما اشتغل فى أيام الأجازة بالمصنع . وكانت البنت " **سارة** " ، طويلة ونحيفة وشاحبة ، فوجهها فى لون ورق الصحف ، وصدرها ليمونى ، وكلما شاهدت

" " **عبد الله** " " اتسعت ابتسامتها وجرت الدماء في خدودها .. واختلقت موضوعاً ليبقى " " **عبد الله** " " معها بعض الوقت يتكلم . وهي إذا ما " **سخسخت** " من الضحك على نكتة يقولها " عبد الله " عن بخل اليهود " **وقربطتهم** " تمايلت و" **كلبشت** " في أكتافه ، فيما بعد تجرأت وصارت ترتمي في صدره ، ينتهزها فرصة ويحتضنها ، فكان يحتضن عظامها ويطالبها بأن تكثر من أكل الحلويات والشيكولاته ، فهي بالمصنع بالمجان ، ولن يطالبها أحد بأثمانها حتى تسمن و" **تربرب** " كباقي بنات العنابر .

تنظر إليه في خبث وتسأله :

– يعني قصدك أيه ؟ دا أنا كنت فاكراك ولد طيب وبدون تجارب !

***

في " **حي الرمل** " الذي نشأ فيه " " **عبد الله** " " .. كان يقيم بشارع لافيزون " **لافوازيه** " ، عم " **ابراهيم شحاته** " .. " **أبو إستر** " ، زوج الست " " **لينا** " " التي تعمل في تنظيف بشرة السيدات من الشعر .. وتدعكها لهم بالزيوت .. وتقوم بتجميل العرائس المصونات .

" **ابراهيم شحاته** " كان يسرح بشنطة صغيرة بداخلها ميزان حساس مما يستخدمه باعة المخدرات ،

ليشترى الذهب القديم ، يجوب الشوارع والأزقة فى أحياء الرمل الشعبية منادياً " **دهب قديم للبيع** " ، " **فضة قديمة للبيع** " .. وكان يضع على رأسه طربوشاً قصيراً يحكم المنديل المحلاوى الذى فرده ليغطى جزء من جبهته وقفاه وذلك من حرارة الشمس . ويرتدى بدلته الزرقاء المضروبه فى أجزاء منها بأشعة الشمس فتبدو فى أماكن ظاهرة باهته تأخذ اللون السماوى . وفى أماكن أخرى ، تحت الأذرع ومن الداخل وتحت ثنية الياقة زرقاء ..

ظن " " **عبد الله** " " بأن فى حوزة " ابراهيم شحاته " " **كذا** " بدلة زرقاء فهو لم يشاهده إلا فيها . عاقداً رباط عنقه الغامق على ياقة قميصه النظيف . يدل على نظافة أم " **إستر** " . " **ابراهيم شحاته** " بنظارته الطبية المستديرة والحقيبة فى يده . كان يبدو لـ "" **عبد الله** " " بأنه يقوم بدور **طبيب** يزور مرضاه فى منازلهم . وكان "" **عبد الله** " " يناديه بيا "**عم ابراهيم** " . إذا ما شاهده يأخذ جلسته على المقاعد التى يرصها " **عم عزيز** " أمام صالون الحلاقة .

لم يكن عم " **ابراهيم شحاته** " يتكلم كثيراً . كان يتقن فن الاستماع وتوجيه الأسئلة القصيرة .. وكان سكان زعربانة يعتبرونه من الناس المحترمين ، فيبثونه شكواهم من بعضهم ، أو شكوى بعضهم من الزمن الغادر !

اختفى عم " **ابراهيم شحاته** " من شارع لافيزون . ولم يعد أحد يشاهده يجوب الشوارع واضعاً يده علـى أذنه وفمه منادياً وقد رفع وجهه إلى أعلى .. " **دهب قديم للبيع .. فضة قديمة للبيع** " .. يردد هذا النداء مرتين أو ثلاث ، ثم ينتظر قليلاً متلفتاً حوله لعله يسمع من تناديـه " **تعال قرب يا عم ابراهيم** .. " قالوا بأن " **ربنا فتح عليه**" وشارك ابن عمه فى دكان بالصاغة . " **ربنا تاب عليـه من الدوخة والدوران فى الشوارع والحارات** " . وقـالوا .. " **دا سافر بره** " .. وقالوا .. اتقـبض عليـه بتهمـة جاءت له من تحت دهب مسروق من سـرايات الأكـابر الذين يأتون إلى المصيف ويغلقون سراياتهم باقى السنة . اللصوص دغدغوا الذهب وباعوه لعم ابـراهيم .. ولمـا أرشد عنهم أخذه اللصوص فى رجليهم انتقاماً ، اتفقوا على أنه هو الذى دلهم على السرايا التى يسرقونها .. وأنهم لم يكونوا يوماً حرامية ذهب ومجوهرات ، هم حرامية على قدر حالهم .. يسرقوا صينى .. نحاس .. فرش .. حبـال الغسيل ..

ظلت الست " " أم إستر " " فـى شـقتها بشـارع "**لافيزون**" . تزورها سيدات شارع " **كارفر** " وبعض مـن سيدات شارع " **الكسائي** " الشعبى – وجمـيعهن – بعـد الحصول على الخدمة ودفع الأجر يسألون الست " لينـا "

عن اختفاء زوجها فتحدثهم فى شيء آخر خطر على بالها توا .. إلى أن جاءت بتاجر أثاثات قديمة من شارع "**العقصة**" ومعه العربة الكارو الطويلة التى يجرها بغل عفى . وقام أعوانه بعد دفع الثمن الذى رضيت به الست " **لينا** " " بتنزيل أثاث بيتها بما فيه من مراتب وألحفة وبطاطين ولوازم مطبخ وخلافه . ورصت هذه الأشياء على سطح العربة بطريقة جعلت سطح العربة المستطيل يكفى لكل ما كانت تحتويه الشقة من مفروشات . نزلت الست " " **لينا** " " بيدها اليمنى حقيبة كبيرة بها ملابسها ، وباليد الأخرى ذراع ابنتها " **إستر** " التي وضعت على رأسها برنيطة صفراء لها حلية حمراء .. كانت قد استدعت من موقف " **بولكلي** " سيارة تاكسى بواسطة تليفون مخبز "**الباشاتلى**".

لكن " " **عم بسيوني** " " البقال ، الذى يقع دكانه فى مواجهة البيت الذى تقيم فيه " " **أم إستر** " " .. خرج من دكانه موصياً إبنه الفحل بأن " **يخلّى باله** " ويحترس على البضاعة التى خارج الدكان . وتقدم " " **عم بسيوني** " " ليستعلم من " أم إستر " عما يحدث .. فى البداية حاولت " أم إستر " أن تدعى بأنها ستسافر إلى أخت لها فى بنها .. ولكنها آثرت بأن تلوذ بالصمت وتنشغل بإبنتها . وقالت :

- سأذهب إلى محطة سيدى جابر ..

أصر " " **عـــم بســـيوني** " " علـــى أن يصـــحبها ليوصلها ، حمل عنها الحقيبة ووضعها فوق ظهر التاكسى . نزل السائق وربطها بحبل .. وعاد إلى مكانه .

جلس " " **عم بسيوني** " " بجانب الســائق . ولــم يكن من اللائق أن يسأل الست " " **لينا** " " أيــة أســئلة . وعلى رصيف المحطة وجدها تعيــد النظــر فــى أوراق ودفتر صـــغير .. دون أن يلـــح " " **عـــم بســـيوني** " " . صرحت له الست " " **لينا** " " وهى تهندم فى ملابس إبنتها إستر بأنها جهزت كل شيء لتلحق بزوجها فى مالطــة . ولما سألها :

- ولماذا مالطة بالذات يا ست " أم إستر " ؟

سكتت و" **عم بسيوني** " لم يلح . بات يعرف بأن " **إسرائيل** " تناديهم . و" **عم بسيوني** " ذكر كل شيء فى دكان " **سمعان الفطاطرى** " . كـــان " **عبـــد الله** " يأكـــل فطيرة باللبن . سمع عم " **سمعان** " يسأل "**عم بسيوني** " :

- أيه رأيك يا بسيونى فى مالطة ؟!

أطرق " **بسيونى** " ودعك ذقنه متمعناً . وقال :

- مالطة محطة لإسرائيل والله أنا قلت للست " **أم إستر** " .. إنتى مبسوطة هنا . وجوزك ربنا فاتح عليــه والنـــاس أخدت عليكى وعليه . شفت الدموع فى عينها وقالت ..

".. طيب أعمل أيه ؟! "

كان قد مضى على حرب فلسطين ستة أعــوام .

وكان بعض شباب اليهود قد فجر القنابل الحارقة فى دور السينما . وكان " عبــد الله " قد كبر بالدرجة التى تجعلــه يربط بين ضياع فلسطين وهزيمة الجيــوش العربيـــة .. واختفاء اليهود البسطاء من الشوارع والأحياء والمصـــانع من المدينة .. حتى بات يتصور بأن زميله شارلى الــذى من عمره .. إذا ما أتم تجنيده فى جيش الدفاع الإسرائيلي ، سيكون هو الآخر مجنداً فى القوات المسلحة . وأنهما قد يلتقيا كعساكر يحارب أحدهما الآخر . وإذا ما تعرف كل منهما على الآخر والقتال محتدم ، ماذا هما فاعلان ؟!

كتب " عبد الله " تلك القصة فى كراسة المدرســة – وأنهاها بأن اليهودى المصرى .. وعبد الله .. يرفضــا أن يتقاتلا ..

***

الأستاذ " سعيد" مدرس اللغة العربية ، قرأ القصة .. وخفض الدرجة التى منحها له من قبــل علـــى قصـــة سابقة ثلاث درجات .. وكتب عليها ستة من عشرة . ولما سأله " عبد الله " عن السبب لذلك التخفيض ، قال له :

– أسلوبك فى هــذه القصـــة يــا " عبــد الله " ركيــك ، والموضوع فيها غير مكتمل . لماذا توقفت بالقصة بــأن

كل من الجندى الإسرائيلى والجندى المصرى يتوقفان عن ضرب النار .. ألا تدرك يا فتى شروط الحرب .. إذا ما خالف الجندى الأوامر ، سوف يطلق عليه زملاؤه الرصاص .. أو يحاكم محاكمة عسكرية . سأله : - وهل سيحاكم شارلى فى الجانب الآخر ؟! قال له " " سعيد أفندى "" : بالطبع ، إما أن يتقاتلا .. أو يموتا .. ففى الحرب تلغى الصداقات القديمة بين الأفراد .. وإذا ما اكتشف قادة الجانبين تلك الصداقة ، سوف يتهم كلاهما بالتجسس أو التخابر مع دولة أجنبية . وهى جريمة أيضاً.

غارت كلمات " **سعيد أفندى** " فى أعماق " **عبد الله** " .. تفجرت كشظايا من الإبر . أرقت مضجعه عدة ليال .. ثم تلاشت هواجسها تدريجياً . لكن كلما ذكر شيء عن اسرائيل ، التى باتت الشغل الشاغل للعرب منذ عام ٤٨ وحتى يومنا هذا .. فإن " **شارلى** " ، " **ألبير** " ، " سارة " ، " **ابراهيم شحاته** " ، " **أم إستر** " زوجة " **ابراهيم شحاته** " كما صورها جيرانها لأمه . ونقلت أمه الصورة له .. كل هؤلاء يتقافزون فى ذهنه كالقردة النشطة . إذا ما أثارها مثير !

***

الجلاء ، تأميم القناة .. كراهية " **إيدن** " لـ" **جمال عبد الناصر** " .. هل يمكن لـ " **عبد الله** " أن يستبعد

الأصابع الصهيونية فى تحريك الأحداث فى مصر ، والوصول بها إلى حرب ١٩٥٦ م ؟

حرب " بورسعيد " .. فقد خال " **عبد الله** " - الشقيق الذى يلى والدته - ذراعه الأيمن وركب بدلاً منه ذراعاً صناعياً . كان لا يتحرك إلا بصعوبة ، لكن مع تطور الأجهزة التعويضية ، كان يتحرك شبه طبيعى . لكن الأصابع فيه لا تعمل بكفاءة ، وتعلم خاله عبد الهادى كيف يفعل كل شيء بذراعه الأيسر .. حتى الكتابة !

" **الست رئيفة** " - أم " **عبد الله** " - كثيراً ما صبت غضبها على " **إسرائيل** " - وخاصة كلما شاهدت شقيقها عبد الهادى يعافر ليستخدم ذراعه الصناعى .

" **رئيفة عبد الجليل** " كانت برغم أميتها الشديدة على درجة عالية من الوعى التلقائى . فقد أصرت بأن لا تعامل كطرد يمكن الزج به فى أى إتجاه . لما جاءت من الجنوب إلى الشمال ، كان والده يسافر إلى النجع فى المناسبات الضرورية ويعرض عليها بأن تسافر معه ، لكنها لم تكن توافق ، وقد تأقلمت على الحياة فى حزام المدينة ، بعد أن تخاصمت مع قلب المدينة فى الفترة القصيرة التى عاشتها فى شارع " **النيل** " بكرموز .

كانت قد حلت بـ " **كرموز** " أوائل عـام ١٩٣٩ م .

وأبو " **عبد الله** " كان يعمل وناشاً فى الميناء .

اشتد الألمان فى ضرب الإسكندرية بالقنابل التى تلقى بها الطائرات فى اغارات متتالية على الميناء . وفوق الأكوام والقلاع ومخازن الأسلحة والذخيرة . ومعسكرات الانجليز .. أم " **عبد الله** " برغم حجمها الدقيق كانت لها مواقفها التى لا يمكن أن تتزحزح عنها .. أراد أبو " **عبد الله** " أن يشحنها فى القطار مع أقارب له مسافرين إلى النجع بجزيرة شندويل . تمكث هناك فترة، حتى تهدأ أحوال الحرب ويتوقف الموت والدمار بالإسكندرية . والموت والدمار عمل كل يوم من أيام الحرب ، أم " **عبد الله** " أصرت بأن لا تترك أبا " **عبد الله** " وحده يواجه الموت فى المدينة التى بات ليلها كنهارها ..

في الليل تتسلط الكشافات القوية بحزم من الضوء تمسح السماء بحثاً عن الطائرات المغيرة ، وإذا ما أمسكت حزم الضوء بطائرة ، تهدر عشرات المدافع من فوق الأكوام ومن جهات مختلفة .. ولكن الطائرات الألمانية تقوم بإلقاء حمولتها من القنابل على أية أهداف حتى يخف وزنها .. سيكون عليها عمل مناوراتها فى السماء والإفلات من حزم الضوء التى جعلتها تبدو كنجم مضيء يمضى إلى حتفه .

قالت أم " **عبد الله** " لزوجها :

– رب هنا .. رب هناك . لو كان مقدر لنا المــوت فــى ساعة معينة . سوف يحدث لنــا كمــا حــدث لعائلــة " الشلقامى" .. هربوا من غارات الطائرات بالإســكندرية .. ليموتوا فى حادث القطار الذى انقلب بخروجه عن السكة الحديد فى بنى سويف .

***

واقع الحال أن " أم " **عبد الله** " أصــرت بــأن لا تترك زوجها أبو " **عبد الله** " وحده فى مواجهــة المدينــة الملاوعة . وهى التى سمعت عن بنات الجاليات حواديت بالإضافة للمصريات اللاتى رفعن راياتهن الحمر ترفرف على بلوكات موحدة من المبانى البيضــاء ، فــى شــارع " **جنينة باشا** " والحوارى المتفرعة من حى " الفراهــدة " المتسلق لأحد الأكوام .. وربنا يغفر للسيد بكير الذى شاء أن يقوم كومه بفك أحزمة معظم سكان المدينة " **العزبان** " أثناء الحرب . وقضاء الأجازات القصيرة للجنود ، يأتون من الصحراء الغربية للاستمتاع سويعات بالمدينة المتلألئة .. ثم يعودون إلى الصحراء .. لمواجهة ألاعيب الثعلــب الألمانى الماكر " **روميل** " .. والذى يقوم بتفتيت جيــوش الحلفاء بالالتفاف حولها سريعاً بــدبابات " **البــانزر** " ثــم ينهمك فى تدميرها وحصد عساكرها . والجــيش الثــامن

الانجليزى لا يجد أمامه إلا أن يجمع الألوف من مستعمراته ويدفع بهم فى ذلك الأتون .. وأمام رحى الموت التى تأكل الجنود صغار السن ، كانوا يسمحون لهم بلحظات استمتاع جسدى فى كوم بكير . والأطباء يقومون بعملهم فى تنظيف المهنة من الأمراض السرية ..

" عبد الله " كان طفلاً رضيعاً عندما اشتدت الحرب فى الصحراء ، ووصل الألمان إلى العلمين . ووضع الإنجليز خططهم الجهنمية ، بأنهم إذا انكسروا .. أغرقوا الدلتا وفجروا مخازن ذخيرتهم بالمدينة ، وتركوها ورائهم عديمة القيمة والنفع للألمان .

[*كعادة المستعمر لن يضع أهل البلد فى حسبانه*] .

حتى قيام حركة الجيش ، كان " عبد الله " صبياً فى الثانية عشر من عمره ، لكنه سمع الكثير عن الكوم الذى لم يغلق أبوابه حتى بعد انتهاء الحرب . وقيام الثورة . وإعلان النظام الجمهورى فى استحياء " ١٩٥٣ م " .. وربما قام المناهضون للثورة باتهامها بأنها ثورة غافلة عما يجرى فى مدينة الإسكندرية وراء ظهرها . أو أنها ثورة علمانية لا ترى ما يحدث بكوم بكير من انحراف .. ذلك جعل الحكومة تتوجه إلى تلك البيوت الصحية فتغلق أبوابها . وتطرد النساء منها ، لينتشرن فى أقسام المدينة وأحيائها القديمة والجديدة .

[**تصور " عبد الله "** عندما بات قـادراً علـى أن يعبر عن أفكاره بالقلم .. ماذا يحدث لحي شـعبى مثـل " **زعربانة** " .. حي منقول من جملة نجوع الصعيد وجملة قرى وجه بحرى بفلاحينه الذين ارتدوا أفرولات العمال ، فيما عدا شيوخهم وعمدهم وطريقة احتفـالاتهم وأسـلوب أحزانهم ، إنهم يخرجون من الحى للعمل فى الأعمال التى تتطلبها المدينة . وإذا ما عادوا خلعـوا ملابـس العمـل وارتدوا ملابسهم البلدية وعاشوا حياتهم وكأنهم لم يغادروا نجوعهم وقراهم .. فمن يذهب إلـى الصـعيد يقـول : سأذهب للنجع . ومن يعود من الصعيد إلـى الإسـكندرية يقول : سأذهب إلى ناس النجع .. هنـا سـيكون النجـع كالبحيرة الساكنة .. إذا ما ألقى عليها بحجر فإن السـطح الساكن سيمتلىء بدوائر كثيرة تتوالى بالإثـارة . خاصـة وأن سكان بيت من بيوت كوم بكيـر .. إنحـدروا إلـى " **زعربانة** " كأسرة تتكون من رجل وامرأة وأربعة مـن من البنات الخليعات . الأسرة تتشـبه بالأسـر التركيـة المتوسطة ، والسيدة وبناتها على شيء من الجمـال مـع براعة فى التجميل بالأصباغ .. ومع مـا اكتسـبته هـذه الأسرة التى هى ليست إلا أسرة لمهنة من أقدم المهـن . كان لقاؤهم مع أهل زعربانة مثيـراً .. متصـادماً مـع عادات النجوع والقرى ..

استخدم " **عبد الله** " المسرح الذى يعرف تفاصيله " **حى زعربانة** " والصراعات التى تدور بداخله . شارع " **الكسائى** " الذى به الدكاكين والسوق والمقهى والتفريعات التى تؤدى إلى محطة سكة حديد الظاهرية التى تقع بين " **سيدى جابر** " غرباً .. ومحطة " **باكوس** " شرقاً .. ومن ناحية الجنوب ستتوارى مقابر " **سيدى أبو النور** " خلف المحلات التجارية لشارع الظاهرية . أما من الشمال فيمتد شارع " العقصة " من مزلقان " **محطة الظاهرية** " إلى قلب " **سوق باكوس** " . الشارع الذى به الحمام الشعبى والمطعم الشعبى ومحل الرهوناتى .. كانت إحدى الأميرات من أشقاء " **الملك فاروق** " تنفق على الحمام ليظل يقدم الماء الساخن وقطعة الصابون الفنيك للفقراء الذين يستحمون وينتقلون من الحمام الشعبى إلى المطعم الشعبى يفتتحون الطعام بشوربة اللحم الساخنة . ويقدم لهم نوع من الطبيخ لصنف من الخضروات طبقاً للموسم . ولم يكن فقراء الحى يتزاحمون على الحمام أو المطعم .

لم يكن الفقراء قد تدربوا على الصفاقة والجشع . لم يكن يرتاد الحمام إلا من ليس له بيت .. لم يكن يرتاد المطعم إلا من ضاقت أمامه السبل ، فعجز عن الحصول بنفسه على طعامه . و " **شارع العقصة** " كان يزدحم

بباعة الأثاثات والمخلفــات القديمــة .. يســرح ســريحة الروبابيكيا فى شوارع الأفــرنج ينــادون .. " بيكيــا .. روبابيكيا " .. ويعودن لتسليم أصحاب الدكاكين ما جمعوه ، ليعيد أصحاب الدكاكين بيعه لمن يحتاجــه .. الجميــع كانوا فقراء .. لكنهم لا يزاحمون رواد المطعم الشــعبى ، أو حمامه ، فقراء يسعون إلى أعمالهم المتاحة بشرف !

" **عبد الله** " كان يتأمل الفقراء فى مطلــع شــبابه فيجدهم بالمقارنة لمن يدعون الفقر فى كهولته وشيخوخته .. لديهم إحساس بالكرامة والعزة .

ويسأل نفسه : " ماذا جرى ؟ !

حتى وهو يقف أمام من يعيدون للأثاثات القديمــة شيئاً من رونقها لإمكان بيعها لفئة تريد أن تتشــبه بالفئــة الأعلى . دون امتلاك حقيقى لقدراتهم ، فيبتاعون ما لــم يزل صالحاً للاستخدام من الأثاثات ولوازم البيوت ..

" **شارع العقصة** " به عدد من المقاهى وعدد مــن دكاكين التخمير لعصير القصب أو بيــع البوظــة لأهــل الجنوب .. ومع أن " **عبــد الله** " – لمــا كبــر وجــد أن الشارع ليس واسعاً .. له منحنياته وشعبيته .. حتى أنــه استكثر عليه كل ما سمعه عنه من الحكايات عن الفتــوات ومشاجراتهم فيه .

وقد أيقن أن معظم الحكايات لشارع العقصة مبالغ فيها .. تريد أن تضع رأسها برأس الحكايات التى تخرج من شوارع الإسكندرية القديمة . هى أيضاً حكايات مبالغ فيها .. تريد أن تتشبه بالحكايات التى تطلع من الحوارى القاهرية وفتواتها .. تلك الحوارى التى كانت مغلقة على أهلها ، فيكون للحارة حياتها الخاصة وترتيباتها الداخلية . ولم تفتح تلك الحارات القاهرية للمرور إلا أثناء وجود " **نابليون** " وعساكره الذين صدتهم أبواب الحارات القاهرية ، فخلعوها . ولم يدركوا بأنهم يخلعون مع تلك الأبواب " **عصراً** " .. ويدخلون بالمجتمع المصرى بجنوبه وشماله إلى عصر جديد !

عقب الحرب العالمية الثانية كان " **حى الرمل** " زعربانة وباكوس وشارع كوبرى الناموس والشعيرة . وعزبة الصفيح وأرض الفولى وغبريال . وجميع تلك المناطق الشعبية المستجدة على المدينة بحكم تواجد المصانع الجديدة على ضفة ترعة المحمودية فى اتجاه عزبة أبو سليمان والسيوف والعوايد .

كانت الإسكندرية تمر بالفترة البينية الرخوة .. بين عصر " **الفتوة** " الخالص المسربل بالحماية الأجنبية – قبل عام ١٩٣٦م – وما طرأ على هذا العصر الذى دار حول " **الفرد** " ففرد طول البلطجية ، ونشر

الأباضيات والحراس الخصوصيون للبيـوت السـرية .. والغرز .. والمقاهى التي تقدم الطرب ...

فالنظام الذى سيأتى بعد عام ٣٦ سـيتداخل مـع وجود الضابط المصرى فى الكراكون ، وقد تحرر مـن وجود الضابط الإنجليـزى " **المـأمور** " وراح الضـابط المصري يحاول مـع " **الجمعيـة الأهليـة** " - إذ أدرك الوافدون من وجه بحرى وقبلى أهميـة أن تكـون لهـم " **جمعية** " تعبر **عن** تجمعهم . وتصد عنهم رزائل الفتوات وعبث أهل الإسكندرية المهـزارين - سـوف يحـاول " **ضابط المباحث** " فى هذا الطور أن يلعب دور " **الفتوة** " فى زحام الأسواق بالمقاهى والناس ليثبت وجوده .. فقـد بات الأمن بيد المصريين ، ولكن ما خلفته قوات الاحتلال من فوضى ومن تسهيلات .. لم يكن مقدر له أن يتلاشـى بين يوم وليلة !

***

٢

*** الزمن يتجمد عند من يأملون تحقيـق حلمهم العظيمَ وينتظرون!**
الأحلام العظمى لا ينظر إليهـا مـن خـلال الأرباح الشخصية !
لذا فإن السماسرة سيتعهدون بقـصف تلـك الأحلام وإحباطها ..
ماذا يهم السمسار إلا الربح والفائدة لنفسه ؟! *

***

إذا ما تلفت " **عبد الله** " حوله ، وجد نفسه لم يـزل رملاوياً .. من سكان الضاحية الشرقية بالمدينـة القديمـة .. وحتى سن العشرين ، كانت آخر مسافة وصل إليها غربـاً – بداخل الإسكندرية القديمة – هو المبنى رقم واحـد بطريـق الحرية .. ذلك الطريق الذى كانوا يسمونه " **شارع رشـيد** " ثم أطلق عليه لفترة " **شارع أبى قير** " وتحول إلـى " **فـؤاد الأول** " وفى عهد ثورة " **٢٣ يوليو** " أطلق عليـه " **شـارع الحرية** " . وبرقم واحد بذلك الشارع ، كان يقوم بناء فخم لم يزل باقياً . هو " **كلوب محمد على** " . وكـان البنـاء فـى العصر الملكى ، مكاناً أنيقاً ، يجتمع فيه عليـة القـوم مـن

المصريين والأجانب .. أولاد الذوات والأعيان . ويحضر سهراته " **الملك فاروق** " والأمراء .. لذا كان " **الكلوب** " مزاراً لكبار السياسيين ، وكبار رجال الأعمال والسماسرة وصائدى الفرص .. وفى تلك السهرات بالنادى كانت تتبلور القرارات المهمة " **أحياناً** .. " وتتم الصفقات على أعلى مستوى !

بالنادى كان يوجد صالة للعب القمار ، وفيها تتم المقامرات الهائلة .. والتساهل فى الخسارة أمام الملك ، للحصول على المطلب أو على " **اللقب** " .. ولكل مطلب أو لقب ثمنه الذى لابد وأن يخسره " **الطالب** " أمام مولانا .. وما يتبع ذلك من صفقات تتم بين أمراء وباشوات وبكوات وأجانب . لذا فقد كان " **الكلوب** " مزاراً لكبار رجال الأعمال والمال والذين يأتون من الخارج .

المبنى بقاعاته كان فخماً للغاية .. ومجاوراً لشارع " **النبى دانيال** " الذى يقع فيه مسجد " **النبى دانيال** " وهو بالقرب من الزاوية الجنوبية الشرقية لتقاطع الطرق القديمة .. إذ يعتبر شارع النبى دانيال بالإسكندرية من أقدم الشوارع العرضية.. فالإسكندرية"شطرنجية"وقيل أن جثمان " **إسكندر المقدونى** " كان قد دفن فى ذلك الشارع بمكان ما ، أطلق عليه " **السوما** " استخدم المكان لوقت قريب كمقبرة للعظماء

، دفن فيها عدداً من أحفاد " **محمد علي** " من الولاة والأمراء .. ونقلت المقبرة فيما بعد إلى القاهرة .

في أتجاه الشرق ، تقع قلعة ديماس " **كوم الدكة** " وقد أزيل الكوم ، وتم اكتشاف مبـان قديمـة هنـاك وحمامـات رومانية من القرن الثالث الميلادى ، كما أزيل التراب عـن " المسرح الرومانى الصغير ، ولعلـه كـان معـداً للألعـاب الرياضية الزوجية وتقديم التمثيليات فـى سـاحته . وعـدد المقاعد من سبعمائة إلى ثمانمائة مقعد . والمنطقة المحيطـة به تزخر بالأشجار والمناظر الطبيعية !

في الاتجاه الشرقى من رقم واحد الـذى خصـصته الثورة كقصر ثقافة بإسم " **قصر ثقافة الحرية** " تقـع كنيـسة القديس " **سابا** " . ومقر " **البطريركيـة الأرثوذوكـسية** " .. والقنصلية اليونانية فى شارع يسمى الآن شارع "**شرم الشيخ**" . كان هذا الشارع معروف قـديماً بـشارع " **ليبـسوس** " ، وبالذات فى الطابق الثانى من المبنى رقم عشرة .. وهو مـا يعرف الآن " **بنسيون أمير** " ..

كان الشاعر اليونانى المتمـصر " **كافـافيس** " فـى الثالثة والعشرين عامـاً الأخيـرة مـن عمـره " ١٩١٠ – ١٩٣٣" يعيش فى هذا المكان .. وفى تلـك الفتـرة ظهـر نضجه الشعرى والذى وجد قبـولاً شـديداً بـين الجاليـات الأجنبية التى زخرت بها المدينة منذ إهتم " **محمـد علـى**

بالإسكندرية واختارها كميناء لدولته وأحياها ، بأن أوصل لها قناة المحمودية لتغذى المدينة بالماء العذب .. وقد أنفق الوالى كثيراً لكى يحفر ٤٥ ميلاً حتى يصل ماء النيل إلى المدينة التى لم يكن تعداد سكانها يزيد عن ثمانية آلاف نسمة " **تعداد الإسكندرية عند قدوم الحملة الفرنسية** " . ولكن بعد عام ١٨٢٠ م – ووصول الماء إلى المدينة – تزايد عدد سكانها كثيراً . ومعظم من سكنوها كانوا من الأجانب .. وقد راق لهم مناخ المدينة " **البحر أوسطى** " وقد نبغ من الجاليات كثير من الفنانين والأدباء والسياسيين والكتاب . وكان " **كافافيس** " شاعراً ملهماً .. لكنه عاش حياة بائسة .

وتوجد لوحة تذكارية موضوعة منذ عام ١٩٤٨ م فى المكان الذى كان يسكن فيه الشاعر .. مذكور فيها بأنه تم نقل محتويات شقة الشاعر " **كافافيس** " ، وقد أقيم له متحف خاص لمقتنياته بالطابق الأعلى من القنصلية اليونانية الواقعة فى المبنى رقم ثلاثة وستين من شارع الإسكندر الأكبر !

وشاء لـ" **عبد الله مرعي** " أن يحاضر يوماً فى قصر ثقافة الحرية عن " **كافافيس** " ، وأعماله الشعرية على ضوء " **ما كتب عنه** " . معروف بأن " **كافافيس** " كانت له موهبته الإبداعية فى الشعر ، لكنه عاش حياة غريبة شاذة ومتصعلكة . فكان يكتب ذوب نفسه وانصهارها. وكان فى

حياته يعانى من وطأة رغباته المحتبسة ، ولا يستطيع إلا أن يرضخ لها ، فيقوم باصطياد الغلمان من المقاهى أو يتعرف على سائقى الترماوات الأصحاء لينفق عليهم ، ويختلى بهم فى المقاهى والمواخير المتجاورة على امتداد "**شارع مسيلة**" . وهناك كانت مقهى تسمى " قصر البلياردو" كان "**كافافيس**" يعتبرها مأواه . يقرأ ويكتب ويختلى بمن يصطاده فيها .. أو يجلس بداخلها ليتأمل . ولوجود المستشفى اليونانى أمام المقهى والكنيسة البطريريكية على ناصية الشارع . كان "**كافافيس**" يتأمل موقعه ويقول :

" **أين يمكننى أن أعيش فى مكان أفضل من هذا ؟ فالماخور فى الطابق الأسفل** " المكان الذى بشارع " **ليبسوس** " شرم الشيخ فيما بعد " **يلبى عندى ضروباً من التسلية الجسدية .. والكنيسة المجاورة تقوم بغفران الخطايا .. وهنا بالقرب منى المستشفى حيث سأموت حتماً** "

وقد مارس " **كافافيس** " شذوذه فى الماخور . وكتب أفضل أشعاره فى مقهى قصر البلياردو . ومات فى المستشفى اليونانى . ودفن جثمانه فى الجبانة اليونانية بالشاطبى .

***

مبكراً أدرك " **عبد الله** " ، الوسيلة التى تنقله لاتساع وعمق المدن. فيها راح يقرأ وجوه البشر و يلتقى بصنوف

الشخصيات التى تصنع عالمه الإبداعى كروائـــى وقـــاص .
طريق يجعل مجموعة ضخمة من الأصدقاء فى خدمته دائماً .. يستطيع أن يفتح باب الدولاب ويتناول أحدهم .. لو كـــان باستطاعته مخاطبة المؤلف بعد استيعاب الصفحات ، ســيبنى على الفور علاقة على الأرض ، وعلاقة محفوظـــة بـــداخل مكتبته . وهنا سيتكاثر الأصدقاء حوله .. معظمهم لا يطلبون منه أن يعرفهم بنفسه .. أن يذكر لهم حيثيته . جـــذوره فـــى المدينة ، وإذا لم يكن من " **كبارها** " أزوروا عنه ، وقطبـــوا فى وجهه ، أو عاملوه بترفع أرستقراطى !

أصدقاء الدولاب يتمسكون دائماً بالبقاء فى ضـــيافته بدون تكلفة تذكر .. يستعدون فى كل زيارة لاستقباله .. فهو الفاتح .. وهو الغالق . هو قانيهم ومالكهم ، يالروعـــة تلـــك الصداقة التى تحاول " **أجهـــزة** " عديـــدة الـــشوشرة عليهـــا وإفسادها !

نعم هى " **القراءة** " التـــى مـــلأت الفراغـــات بـــين " **عبد الله** " ومدينته .. جعلته يشعر بالثراء .. وبمثابرته بات " **روتشيلد** " بالنسبة له فقيراً .

" لكن لماذا روتشيلد بالذات ؟ . ولماذا خطر إســمه علـــى ذهن " عبد الله " ؟ .. أهى حالة من التطلع يخفيهـــا بلعـــب أدوار أخرى ؟ أم ماذا ؟ "

لابد وأن البنت " **سارة** " .. والخواجة " **ألبير** " . و " **ابراهيم شحاته** " .. و " **أم إستر** " .. لم ينقشعوا عن ذهنه بعد .

فى الواقع " **عبـد الله** " وقف أمام ذلـك الاسـتدعاء متأملاً .. ثم اهتدى بأن ذلك الملياردير الصهيونى هو الـذى ساعد اليهود عندما أنشأوا حركتهم الـصهيونية ، سـاعدهم بأمواله وعلاقاته وتأثيره الخطير فى لندن حتى حـصل لهـم على وعد بلفور لتتقوى به الحركة الصهيونية .. التـى هـى حركة سياسية تمتطى الأساطير وتنفخ فى حكايـات وتهمـل أخرى حتى تصل إلى أهدافها السياسية .. اليهـود حـصلوا على ذلك الوعد الشهير من الانجليز .. العرب حـصلوا على العديد من الوعود والوثائق بأن يرعى لهـم الانجليـز أمانيهم أيضاً . لكن لم يكن فى حوزة العرب أحـداً بعزيمـة المليارديرات اليهود ولا مثابرة زعماؤهم فى إعادة عـرض فصول من حروب قديمة تاهت فى طيات التـاريخ .. فقـد مضى على ما حدث ألوف السنين .. منذ عبر قوم أتوا مـن أرض الفرس ، عبروا نهر الأردن ، فتـسموا بـالعبرانيين . ليحاربوا الكنعانيين ويرغمونهم على ضيافتهم " **الكنعانيين هم الفلسطينيين** " . لقد زاحم العبـرانيين الكنعـانيين قـديماً .. وحديثاً .. والمتأمل للمسألة القديمة سيجد أن آثارها لم تـزل تحرك الكثير من الأحداث فى شرقنا الأوسط .. وأن الحركة الصهيونية ، لم تيأس مطلقاً وهى تبحث لنفسها عن وطـن .

وقد حاولت مع الدولة العثمانية بكل السبل أن تسمح لها بالإقامة فى سيناء أو فلسطين وفشلت .. نقلت محاولاتها إلى " **قوة أخرى** " . وللصهاينة جهاز استشعار خطير .. يمكن أن يحدد لهم " **القوة الصاعدة** " فى وقت تختلط فيه الأمور .. رهانها دائماً على الفائز .. الانجليز الذين لا يملكون سيعطون لمن لا يستحقون .. فالشعب الفلسطينى يهجر من بلاده .. والعالم يتذكر فقط الذين شتتوا منذ آلاف السنين ويتناسى الذين شتتوا منذ بضع عشرات من السنين !!

من ذلك الذى ينشط ذاكرة العالم حتى يأتى بالقديم البعيد أمام الجديد القريب !! هل هو الفيلق اليهودى المسلح الذى حارب بجانب الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية ٣٩ – ١٩٤٥ م .. ثم تأسس عليه جيش الدفاع الاسرائيلى ؟!

أم أنها مهارة اليهود فى إدارة الشئون السياسية بالشئون الاقتصادية ، فيعمل الجميع فى خدمتهم دون الشعور " **بالدونية** " حتى أن الانجليز بما هو معروف عنهم بالتحفظ الشديد بالبقاء على المسافات بين اللوردات والآخرين .. قاموا بتقديم الخدمات السفلية لهم بشعور من النشوة بأنهم نجحوا فى فصل الجناح الشرقى عن الغربى من الوطن العربى وإلى الأبد .. الأسيوى عن الإفريقى.جناح الثروات عن جناح الامكانيات . حتى لا تقوم فى تلك الرقعة التى تم رفع يد الأتراك عنها دولة كبرى .. إذ أنه عقب انسحاب

الانجليز فى ١٩٤٨ م أعلن بن جوريون قيـــام " **إســـرائيل** " الدولة العبرية .. كان ذلك فى ١٥ مايو ، فحـــصلت الدولـــة الوليدة على اعتراف الدولتين الكبيرتين فى العـــالم " **أمريكـــا وروسيا** " بعد عدة ساعات .

لقد انسحب تأثير قيام دولة إســـرائيل علـــى مدينـــة " **عبد الله** " بالاضطراب ، فقد كان لليهود جالية كبيرة . فـــى الواقع كانوا مصريين فى معظمهم ، لهم نفس حقوق المواطن المسيحى والمسلم . وفيلم " **فاطمة وماريكا وراشـــيل** " كـــان يعرض فى دور السينما يركز على العلاقـــات المتـــشابكة . وعقب إعلان دولة اليهود .. ستتوالى الحروب بين "**إسرائيل**" و" **العرب** " وخاصة " **مصر** " .. تستهلك عمر " **عبد الله** " .. وله فى كل حرب .. جرح !

***

٣

[مدينتى يحمر وجهها خجلاً عند لقاء الغرباء وإذا لم ينصرفوا على الفور .. تضاجعهم !]

***

حى " **زعربانة** " يقع تحت أقدام حى " **كفر عبده** " . ثمة تشابه كبير بين بولاق والزمالك .. لكن ليس هنا فاصل ، ففى القاهرة النيل العظيم .. لكن فــى رمــل الإســكندرية .. شارع " **السير وينجت** " الذى يبدأ بالقرب من مبنى الــوزارة الصيفى وينتهى عند مزلقان القطار . ذلك المزلقــان الــذى يسمح للعربات بالمرور للوصول إلى حجر النواتية وشــركة النحاس الكبرى . ومقابر ســيدى " **أبــى النــور** " وترعــة المحمودية بضفتيها .. وتلك المصانع التــى تتقــاطر علــى الضفة البحرية فى إتجاه كوبرى الناموس .

حى " **كفر عبده** " – الذواتى – معلق فوق المنزلايــة الحادة المفضية إلى مدرسة " عبد الله " الابتدائية " **القديمــة** " . وامتداد الشارع يفضي إلى عمارات شارعى " **كــارفر** " و "**لافيزون**" سكنى الفئات الوســطى .. ومنهــا إلــى شــارع

" **الكسائى** " .. " **صرة زعربانة** " و " **السوق** " والاكتظـاظ بالسلع والمقاهى والخـضروات واللحـوم والبـشر والأولاد الضغار كأنهم نبت شيطانى لا يجتهـد أحـد فـى تواجـده وزرعه!

الفئات المتلاصقة مع تبيانها ، أتاحت لـ" **عبد الله** " بأن يدرس ملامحها على مهل .. هو الذى أرغـم علـى أن يتأمل انعكاس التصرفات وحركتها المتقـدة مـن الثـروة .. المفضية إلى السكون أو الحركة .. !

" **عبد الله** " يسكن فى شارع " الكسائى " .. ويـتعلم فى شارع " **السير وينجت** " ويختلى بنفسه فى "**جنينة اللنبى**" الممتدة فوق المنزلاية .. تطل عليها عمارات وفلل وسرايات الفئات العليا .. ومعهم الخواجات !

" **عبد الله** " إذا ما فرغ من التطلع فـى الكتـاب أو المجلة التى معه .. ينظر حوله ويتمعن ..

" لقد بات لذلك القائد الانجليزى حديقة باسمه .. هـو القائد الذى قاد القوات الانجليزية أثناء الحرب العالمية الأولى .. ضد الأتراك مع الألمان . جاء إلى مصر بعد هزائم القائد " **موراى** " المتوالية . جاء بعد حصول اليهود علـى وعـد اللورد " **بلفور** " بأن ترعى المملكة المتحدة أمانى اليهود فى وطن قومى بفلسطين .. جاء وفى جيب سترته العسكرية ذلك الوعد . لكن " **اللنبى** " لن ينجح فى الوصول إلـى سـوريا

الجنوبية بجنوده النيوزلانديين والمصريين والحجازيين ويفتح فلسطين إلا بتلك المعونة الفعالة التى قدمت له من عرب- الجزيرة العربية ومصر .. ووعود الانجليز بذلت أيضاً للعرب بأن أية أراضى يتم تخليصها ستكون للعرب ، فهى أرضهم التى ستعود لهم . ومن حقهم أن يقيموا عليها مملكتهم ودولتهم الكبرى . وبات البعض يلقب الشريف "**الحسين بن على** " بملك العرب .. وقام الأمير " **فيصل** " بفتح العقبة " **وما أدراك ما العقبة** " وثوار الحجاز حطموا خط السكة الحيد الذى يعتمد عليه الأتراك فى مواصلاتهم . واحتجزوا بثورتهم ضد الأتراك عشرات الألوف من جنود الأتراك وحرضوا السوريين على أن يهربوا من الجيش التركى وينضموا للجيش العربى ، وفى ذلك خسارة مضاعفة للترك إذ ينقص عندهم جندى ويزيد فى صفوف أعدائهم جندى ، فتكون خسارتهم مضاعفة .

والجنرال " **اللنبى** " عندما تمكن من انتزاع سوريا الجنوبية " **فلسطين** " من الأتراك .. لم يعيدها إلى أهلها . أخرج الوعد البلفورى من جيبه وغطى به فتوحاته . وقدمها هدية على طبق من فضة لأصحاب القبعات السوداء واللحى السوداء والأردية السوداء والحواجب الكثيفة السوداء ، من تحتها تبرق العيون الفحمية بالرغبات .. نعم هؤلاء الذين جعلوا من " الذهب " سلاحهم ، يعوضهم عن قلتهم وضعفهم!

إذا ما تأمل " **عبد الله** " تلك الفتــرة مــن صــباه .. وكيف بات للقائد البريطانى الذى قــال لحجــارة القــدس : " **ها قد عدنا يا صلاح الدين ..** " ، جنينة يطلق علها إســمه .. وجد أن ذلك يعبر عن مرحلة كان الفقراء فيها فقــراء .. والفئات الوسطى تتقوت على الأحلام .

أما الكبار من أولاد الذوات والأعيان .. فقد تصالحا على أن يكونا شركاء للأجانب .. منهم من يمــسك بقــرون البقرة ومن يقوم بحلبها !

شعار " الجلاء " يرفعه الكباش لتمشى خلفهم الأغنام مغمضة العينين . والمفاوضات الطويلة – طويلــة – يتعمــد الجانبان تطويلها ما دام الشركاء فى رضا تام بما هو مقــرر .. وإذا جار أحد الشركاء على الأنصبة ، فلا مانع بأن تندلع المظاهرات الشعبية .. تجتاح الشوارع والميادين .. ويــسقط بها بعض القتلى والجرحى .. لإعادة عقــد المفاوضــات .. والمباحثات وتمرير المزايا التى لا يسمح بها إلا تحت حرارة الضغوط . وهكذا كانت الــدائرة تــدور ، صــوت الأســتاذ " **رأفت شنودة** " يطن فى ذهن " **عبد الله** " رخيماً ومحتــدماً .. الدائرة استمرت سبعين عاماً . وكــان يمكــن أن تــستمر سبعين عاما أخرى .. بل وسبعمائة .. إذ لم يــأت شــخص كــ " **جمال عبد الناصر** " .. ليس له فى المزايا التى تمر من تحت الترابيزات .. رأسه كرأس معظم صعايدة وجه قبلــى

وزعربانة .. هؤلاء الذين عاشوا فى حزام المدينة وكأنهم فى نجوعهم . إنه رجل يحدد هدفاً ويمضى إليه حتى لو غرق أو احترق .. فالهدف أسمى من مصالحه الشخصية أو مصالحه الفئوية .. ذلك طريق يعرفه المناضلون .. أن يكون الحوار على الترابيزات المفروشة بالجوخ الأخضر بالرصاص والقنابل والفدائيين والشهداء . أن يكون التسويف الذى يسعى إليه المغتصب مكلفاً للغاية .. وطالب الجلاء قد كف عن الهتاف الأجوف ، وبات هادىء الأعصاب ، يطلب طلباً محددا واضحاً وصريحاً ويتمسك به " **الجلاء فوراً** " ثم يصمت في تكشيرة الذى لن يتزحزح قيد أنملة عما طلبه وحدده .

" **هنا لم يكن أمام الانجليز إلا توقيع اتفاقية الجلاء** "

***

يقول الأستاذ " **رأفت** " أشياء ، وإذا ما استعادها " **عبد الله** " يضيف عليها من وعيه ..

" **الواقع** أن الأحوال هى التى تبدلت بقيام حركة الجيش المباركة وباشوات ما قبل الثورة .. حتى إذا ما وجد بينهم من يفوق " **عبد الناصر** " صلابة ، كيف كان سيفاوض الإنجليز بالرصاص والقنابل والفدائيين ؟! من كان سيسمح " للباشا " بأن يكون بطلاً للجلاء ؟! والباشا واحد من جملة باشوات محركهم الثروة وليست الثورة ..

الظروف هى التى تتغلب على " النوايا الطيبة " وكثرة المستفيدين يتغلبوا على شجاعة الأنقياء .. لذا فإن وجود عبد الناصر دون منازع على ترابيزة الرصاص والدم .. مكنه من المشى لآخر الخط على الطريق المستقيم ، الذى هو أقصر مسافة بين نقطتين " .

نعم الزعيم ناتج مرحلته .. الزعيم ناتج تحولات كيفية وكمية ولا يستطيع أحد بأن يقفز على مرحلته .. وإلا سقط فى فراغ !

***

منذ متى أتقن " عبد الله " تحليل الأمور والنظر إلى المسائل من زواياها المختلفة ؟ ذلك لابد وأنه حدث على يد أساتذة أفاضل نظروا إلى المستقبل نظرة أمل ، ولم يقيدهم الماضى فى أسره ..

فيثبتهم كالأشجار .. أو كالطود !

***

المدينة باتت مطوقة بحزام من الأحياء الشعبية . إنها الضواحى التى تعيش حياتها محكومة بعاداتها وتقاليدها التى نشأت عليها . تمشى على دستورها المنقول فى قففها وأسبتتها وبؤج ملابسها " الحقائب ستكون معروفة لمن هم فوق مستوى الفئات الشعبية " .

والصدمة لمن هم غائبون فى عاداتهم بحزام المدينة .. ستكون مؤثرة إذا ما تم فصد الدماء الفاسدة من القلب .. لتسيل على الأطراف .

إنهن السيدات ، أصحاب الرايات الحمر اللائي تم هشهن من الفراهدة وكوم بكبر .. عندما تقرر غلق تلك البلوكات البيضاء فى نهاية شارع الجنيته ، ليتفرق " **أصحاب البيوت السرية** " على الضواحى اتقاءً للمطاردات سيدخلن تلك الأحياء الشعبية فى ملايسهن الافرنجية الهوانمى ، متحشمات للغاية .. العرى له رد فعله فى أساليب الإحتشام المتشددة .. مبهرجات اذا مارفع النقاب .. استخدامهن لأدوات التجميل حرفة وإتقان تظهرهن فى الصورة التى تخلب الألباب وتجعل الرءوس تتجمد فى اتجاههن.

لكن اللواتى اعتدن على العرى لا يطقن الهدوم على أبدانهن .. سوف يلقن بكومات الملابس التركية المقيدة ، وينقلبن – فى الحى الشعبى بعد أن يسكنونة ويحوزون على إحترام أهله – إلى حاله من الإستهتار المبالغ فيه.إذ أن الطفشانات من كوم بكير ، قد أتين ألى " **زعربانة** " المحكومة كالنجوع والقرى لمواصلة ممارسة المهنة فى الرمل ، هن لم يتركن أباليسهن أو شياطينهن هناك فى كوم ، فقد اصبحن وأباليسهن فى حزمة واحدة ..

كل من كانت تعمل هناك لضرورة اوجدتها الحــرب أو حريات المدن ، سيرغمن علـى التفـرق علـى بـارات وكازيوهات وأوتيلات المدينة وشارع الكورنش وسـيتوارين خلف العاب الفنون .. معظم الحكايات التـى يبـررن بهـا افعالهن ستكون منتهية بفجيعة تصلح بأن تتناولها الـسينما .. سينما أغنياء الحروب بذوقهن الفــج .. سـينما تـأتى بعـد الأعاصير التى تخلف الدمار داخـل وخـارج النفـوس ، إذ يعقب الأغتصاب بسبب الفاقة والعوز مسعى لرجل شـريف ونبيل سيمد يده لتلك التى أرغمتها الحاجة على السقوط.أنهـا الأقدار .. التى ستسوقها إلى امتهان أقدم مهنة فى التـاريخ فنفصل بين الجسد النجس والروح الطاهرة البرئية .. وستظل " **البطلة** " التى تتمتع بالحضور والمؤانسة وشئ من الجمـال تطل على المشاهد منقسمة على نفسها ، روح خالصة وجسد تمقت وجوده فى انتظار ذلك النبيل الذى سيأتى عـادة مـن الطبقة الوسطى .. مثقفاً ومناضــلا ولا يملـك إلا الأحـلام العظيمة .. سيأتى الفارس من ذلك المخـزن الـذى يجمـع المتناقضات .. يسعى اليها مضحياً بالغالى والنفيس لينقذ تلك الروح الجميلة ....

عشرات الروايات راجت فى مرحلة صبا "عبد الله " ، لم يفلت منها .. فيا لتلك المواضيع التى تعتصر الأفئـدة .. وما أكثر ما تنزه العيون مـن دمـوع .. قبـل أن يـتمكن

" عبد الله " من الصعود درجة فى الوعى ولا يسلم نفسه سهلاً لتلك المآسى التى تحركها المصادفات الغريبة : وروايات السينما التى تجمده فى مكانه . تبلل منديله بما يسيل من عينيه وأنفه !

•••

كثيراً ما نظر " عبد الله مرعى " إلى الأستاذ " رأفت شنودة " بكل تقدير ، عندما كان يستدعيه من بعيد ، يستحضره كى يستشيره فيما يعتمل فى خياله .. يقيس ما يفكر فيه على ما كان يطرحه عبر تختات المدرسة .. أو ترابيزة المقهى .. فمنذ فصول المدرسة الابتدائية " ومعظم تلاميذها كانوا بالغين وشواربهم تخط تحت أنوف المراهقة المفلطحة .. " والرجل كان مدرساً للتاريخ .. وكان لماحاً .. وكان قارئاً نهماً .. وكان محدثاً لبقاً .. وكان صاحب فلسفة يدعو حولها الأنصار دون ضغوط .. يجعل من نفسه القدوة ، فيتأثر به تلاميذه ، يربط ما بين المنشور من الأخبار السياسية والاجتماعية وما ورد فى صفحات الكتب المقررة .. يرفض أن يجعله ماضياً ، فإذا بالوقائع الصماء تدب فيها الحياة ، تمتد من بعيد حتى المشهد الحالى .. فيصير للتاريخ والحوادث والمؤتمرات والبيانات والمعارك ، كل ذلك المكروه من التلاميذ،فائدة لا يستغنى عنها ....

انتبهو يا حضرات .. ما حدث عـام ١٩١٧م عنـد دخول الجيش الانجليزى إلى فلسطين .. أنظروا كيف كـان " **اللنبى** " فخوراً وهو يدخل " **القـدس** " عنـدما حـاول أن يمضى فى شوارع القدس راكباً فرسه ، نصحه المحيطون به أن يترجل .. كان يحيط به مستر " **سايكس** " ومسيو "**بيكوه**" أصحاب الاتفاق الودى بتقسيم العالم العربـى ليقـع تحـت نفوذهما الاستعمارى . حدث هذا فى عـام ١٩٠٤ م ، ولـم يكشف عنه النقاب إلا بعد قيام ثورة أكتوبر الاشتراكية فـى روسيا عام ١٩١٧ م ، عندما بات للطبقة العاملـة هنـاك .. حكومة تعمل لصالحها .. الحكومات تشكلها أقـوى القـوى الاجتماعية ، فلا يظن أحد بأن حكومة يشكلها فريق فتعمـل لآخر ..

هنا رفع " **عبد الله** " إصبعه ليسأل الأستاذ "**رأفت**" :

- هل يمكن أن يحدث ذلك فى مصر .. أن يكون للأغلبيـة حكومة ؟

سكت الأستاذ " **رأفت** " قليلاً ثم قال :

- نحن الأن ما زلنا فى العصر الملكى .. نعـم " فـاروق " ذهب . لكن ابنه الطفل يحكم بمجلس وصاية .. الملـك هـو كبير الأثرياء .. لم يوجد بعد ملك من الفقراء .. مجلس قيادة الثورة يقبض على الأوضاع بيد من حديد .. فـى ظنـى أن النظام الملكى فى مصر ، إما سيتحول إلى ملكية دسـتورية

كما فى انجلترا .. أحزاب وبرلمان .. ورئيس وزراء مسئول يأتى بالانتخاب الحر .. هنا سوف يقوم الفقراء بانتخاب من يمثلهم . وفى ظنى أن الفقراء سينتخبون **"جمال عبد الناصر"** أو **" محمد نجيب "** رئيساً للوزراء . وسوف نجد كثيراً من السياسيين ينافقون الطبقة الدنيا .. يرفعون لافتات بمصالحها وحقوقها . وإذا نظرنا للمسألة من الناحية الأخرى ، فقد يعلن النظام الجمهورى فى مصر .. وسأحدثكم فى الحصص القادمة عن مزايا هذا النظام ومساوئه !

•••

فى الثامن عشر من يونيو ١٩٥٣ م أعلن النظام الجمهورى .. وأختار مجلس قيادة الثورة **" محمد نجيب "** رئيساً للجمهورية .. بينما مجلس قيادة الثورة الذى يترأسه **" جمال عبد الناصر "** ، اعتبر نفسه ممثلاً لكل فئات الشعب . عندما قام باختيار رئيس الجمهورية .. وجميع خيوط الحركة شوهدت مربوطة فى أصابع **" عبد الناصر "** ، وقد حاول **" الباشوات "** على أساس أن اللواء **نجيب"باشا "** أن يلتفوا حوله ويدفعوه لتنفيذ اختبار يثبت فيه **" استقلاله "** عن مجلس قيادة الثورة .. فحدث التصادم بين اللواء **" محمد نجيب "** ومجلس قيادة الثورة ، وسريعاً ما حدثت أزمة مارس ١٩٥٤م . التى أسفرت عن رغبة مجلس قيادة الثورة بأن يباشر أعضاؤه أدوار الوزراء ، ووجدوا في النظام الرئاسى

بغيتهم . فأعلن هذا النظام وتولى " **عبد الناصر** " رئاسة الدولة والجمهورية .. وتوالت التغييرات " **الفوقية** " .. تأتى القرارات من فوق وتنفذ .. " **حتى المدرسة الابتدائية التى درس فيها " عبد الله " ، تحولت إلى مدرسة إعدادية ، وكان " عبد الله " قد حصل على شهادة بإتمام المرحلة الابتدائية ، وأمكن له أن يلتحق بالمدرسة المرقصية الثانوية .. وينتقل من حال إلى حال !**"

***

" **عبد الله** " **وهو** يركب الترام من " **محطة الرمل** " إلى بولكلى ، قابل الأستاذ " **رأفت شنودة** " مصادفة .. كان الأستاذ رأفت قد تبدل مظهره .. كبر خلال الثلاث سنوات الفاصلة ، بصورة دلت على أنه بات من المستفيدين بإعلان النظام الجمهورى . وعلم "**عبد الله** " بأنه صار قياديا فى " **هيئة التحرير** ".

وكان " عبد الناصر " قد أمم " **القناة** " ومصر تستقبل اللجان التى تشكلت للضغط على مصر .. وطبول الحرب مع التهديد الأروبى باتت تدق فوق الرؤوس .

" **عبد الله** " يسمع دقاتها تأتى من بعيد كما دقات الخطر فى غابات " **طرزان** " وسحب سوداء كثيفة تتجمع فى أوربا وتزحف على بحرنا الأبيض .. فى غير أوقات الشتاء.

***

٤

[الأمانى المتواضعة كالجدران الواطئـــة
عرضة للملصقات القبيحة]
[والأمانى العظمى التى على الرف .. لا
نتذكرها .. إلا أذا طالت قامتنا .. وباتـــت
تلك الإمانى فى مستوى النظر]

***

شارع " السير ونيجت "، انطبع فى ذهن " **عبد الله** " منذ أيام الصبا .. إذ كان ذلك الشارع بجانب أن به مدرســـتة فقد كان زاخرا بالقصور والفلل المحاطة بالحـــدئق المزهـــرة والأشجار الباسقة .

عقب قيام حركة الجيش المباركـــة ، أمـــست تلـــك القصور والفلل مهملة إلى حد ما ، لعدم انتظام حضور معظم السكان الأساسيين للإقامة فى مسكانهم الفخمة التـــى تركـــت مرتعا للخدم والخفراء والجناينية وأولادهم وزوجاتهم . فقـــد تجرأ البعض بحجة زيادة الحراسة أن ينقل اقامتة من طرف الحديقة .. إلى داخل القصر .. ويستخدم الغرف والمطبخ .. وتكون جلسته المفضلة فى الشرفة على نفس مقعد " **الـــسيد** "

أو " **الهانم** " التى حالت المشاغل بينهم وبين العودة إلى ممتلكاتهم .. حتى فى شهور الصيف .

" **لقد بدأت محاكمات الثورة . وطلب مجلس قيادة الثورة من الأحزاب بأن تصلح من أحوالها وتنأى عن مفاسدها فأخذ زملاء الأمس الكبار يتقاذفون بالاتهامات المتبادلة ، فينشرون غسيلهم القذر أمام " الضباط " متوسطى الرتب . ومنه يوجه لهم الضباط الاتهامات .. وكلما حاول الباشاوات التخلص من حبل الإتهام الطويل كان يتعقد الحبل ويلف أجسامهم ورقابهم .**"

ولعل شيوع كثير من المساويء التى ارتكبها البكوات والباشاوات .. والبعض جعلهم جميعاً فى قفص واحد .. أشاع عنهم بأنهم " **قوى رجعية ظالمة** " ذلك شجع " **اللصوص** " على " **تحليل** " ممتلكاتهم لأنفسهم .. يستردونها ولو بالسرقة والاستيلاء .. ولصوص صغار نشطوا فى سرقة القصور المغلقة ، فهيبة هذا الصنف من الناس سقطت عندما باتت حياتهم الخصوصية نهباً للصحافة وشاشات السينما . التى وجدوا فيها جنازة ليشبعوا فيها لطماً.

فقد تناول الصحافيون والمخرجون حياتهم الشخصية تناولاً مبتوراً ، ونهشوا فيها نهش الكلاب الجائعة .. وأظهروهم كطغاة ، مفاسدهم تأتى من نفوسهم الظالمة التى من نار وتراب .. يستعبدون عمالهم وفلاحيهم دون وازع من

ضمير ولا إنسانية . أنانيون ، مسيطرون ، مستبدون حتـى على أولادهم . إذا ماعشق ابن الباشا فتاة فقيرة ليست علـى المستوى ، **تقع الطامة الكبرى** ، فالأب سوف يقف كـالطود أمام هذا الاتصال الإنساني . لا يعطى للظروف أية اعتبـار .. والفتاة ستكون من الرقة والرهافة والجمال الذى يفوق تلك " **ثقيلة الدم بشعة الشكل** " التى يزمع الباشا تزويجها لإبنـه من أجل اتصال المال والأطيان والأعمال .. ولا شيء بهـا يشجع الابن المسكين ، وقد عثر على ملاكه فى فتاته الفقيرة .. والأب سينزل على تلك العلاقة بمطارق القسوة الطاغيـة .يحطم أحاسيس إبنه الرهيفة ، مذكراً إياه بالفـارق الطبقـى اللعين الذى لابد وأن يفصل بين عالم وعالم ..

عالم تلك الفتاة الملائكية .. وعام المال والأعمال ..

ذلـك سيجعل قطاعاً كبيراً من الشعب يتخـذ موقفـاً مضاداً من ذلك الباشا الرجعى المتخلف المضاد لكل ما هـو إنسانى . والموقف سوف يشمل " **الأثرياء عمومـاً حتـى أن بعضهم سوف يتباهى بفقر جدوده وينسب نفسـه للشـعب الفقير** "

إنه موقف سيكون محملاً بالضغينة ممن لم يتعـاملوا معه شخصياً . وفى تلك المسافة مـن الكراهيـة والنفـور ، سوف يظهر عدداً من " **أبناء الطبقة الوسـطى** " ، نـبلاء ، يستحقون أن نسلم لهم بالقيادة .. إنهم " **الباشـاوات الجـدد** "

الذين يدفعون بالصناعة إلى الأمام متعـاطفين مـع عمالهـا ويزرعون بالميكنة وفلاحيهم يقودون الجـرارات ويسـمنون المواشى على أحدث طرق التسمين . وسيظهر ذلك الأفندى ، إنه المناضل .. فى وظيفته .. كضابط بارع ، أو طبيب يقود كتيبة لقهر المرض المعدى .. وإذا سلمنا له بالقيادة فى تلـك المواقع ، فنحن نسلم له طوعاً بأن يقود " **المجتمع** " نيابة عن الأغلبية . فهو المتطور الحديث .. بعد أن أسقط ذلك الباشـا " **الرجعى الثابت** " فى محله ، يحيط نفسه بالتقاليد البالية ..

من بين هؤلاء " **المتوسطون** " لن ينتبه أحد لظهـور ذلك الانتهازى الذى يلعبها لنفسه .. إنه ذلـك " **المتوسـط** " الذى تسلح بالثقافة الذكية والذى أحاط بها نفسـه ، فاتخـذها سلماً ليصعد عليه وحده .. يدفع " **سعيد مهـران** " لأن يسرق من الأغنياء إنتقاماً من جشعهم .. فى موقف اجتماعى مخاتل . وإذا ما تورط " **سعيد مهران** " وغاب وراء أسوار السـجن فـ " **رؤوف علوان** " سوف يصل إلـى مبتغـاه .. سـيكون صحفياً كبيراً .. يقفز من مرحلة إلـى مرحلـة لا يريـد أن يتذكر شيئاً من انتهازيته فى الصعود .. وإذا ما عاد " **سـعيد مهران** " من السجن ، فسوف يعمل على أن يتخلص منـه . بل سيجعل منه المادة التى يرتزق بها .. يبيعـه بالقطعـة . وكل التبعات تسقط على كاهل " **سعيد مهـران** " الـذى لـم يحتاط .. والذى ترك عقله لـ " **رؤوف علوان** " ليتصـرف

له فيه .. وإذا ما فكر " **سعيد مهران** " بأن ينتقم من " **رؤوف علوان** " بنفس السلاح الذى تعلمه منه .. بأن يسرق " **شـيخ المنسر** " فهو بذلك يلقى بنفسه إلى التهلكة !

***

فى تلك الأيام التى صدمت الأثرياء .. فثـراءهم لـم يكن من تحت لفوق ، لم يكن له قدمين ثابتتين في الأرض .

شارع السير وينجت ، بات خالياً من سكانه الـذين كانوا يضفون عليه روعتهم .. الشغالون لن يهتموا بعملهـم جيداً إلا تحت إشراف أصحاب الأعمـال . أمـا إذا انقطـع أصحاب المال والقصور عن مساكنهم .. وسكن تلك القصور والفلل .. عائلات الخدم الخفراء والبسـتانية . فـى البدايـة يسكنونها بصفة مؤقتة . لكن تلك الصفة المؤقتة ستأخذ الدوام لسفر معظم الأسياد إلى أوربا حتى ينجلى الموقـف المعقـد وتستقر الأحوال والمحاكمـات والاضـطرابات ، ويرسـى الوضع بالداخل على حال .. أما وقد إزدادت سرقة القصـور فى الشارع الهادى .. فإن ذلك أعطى مبرراً قوياً للخدم بـأن ينتقلوا من مساكنهم المتواضعة على أطراف الحـدائق إلـى داخل المبنى ، ليكونوا مع الأثاثات الغاليـة .. فـى البدايـة سيتحركون بداخل القصور محاذرين لمس أى شـيء .. ثـم بعد ذلك يتجرأون .. إذ تتسع استخداماتهم لأشياء أسيادهم .. الحمام ، المطبخ ، ثم الملابس ، وغرف النوم . حتى إذا مـا

اعتادوا عليها شعروا بأنها صارت جزءً منهم .. هنا ، باتوا يخشون عودة الأسياد واستعادتها . وأن يرغموا على العـودة إلى مساكنهم المتواضعة .. يعتقدون بأن " **الثـورة** " هى التى نقلتهم من حال إلى حال . فالخادم لم يزل في نفس مظهـره المتواضع . لكنه سيجلس فى الشرفة الكبيرة على نفس المقعد الذى كان لسيده .. يأكل ويشرب شـاياً ويلاعـب عيالـه .. ويندمج فى حياة جديدة .. يود لو أنها استمرت طويلاً !

***

تدريجياً سينضم شارع " **السير وينجت** " إلى شارعي "**كـارفر** " و" **لافيـزون** " بمنازلهمـا متعـددة الشـقق ذات المساحات الصغيرة .. شرفاتها متقاطعـة بحبـال الغسـيل المنشور .. وذلك العداء الشديد للشـجر والأغصـان التـى تحوى العصافير .. تلك التى تفسد ببرازها ومخلفاتها غسـيل السيدات المصونات عندما تكون العائلة الصغيرة مقيمة مـع أكثر من عشرين عائلة أخرى وباب " **العمارة** " يغلق علـيهم جميعاً .. ومع ذلك يعيشون كغرباء يتوجس كل منهمـا مـن الآخر خيفة .. تتعمد كل عائلة أن تتجاهل الأخرى . واضعة نفسها فوق عائلات العمارة . وأن لا تمتد يد أحدهم بالسـلام إلا بقدر الحاجة الضرورية ..

***

ما يدهش " عبد الله " .. والمدينة تزدهـــر بطبقتهـــا الوسطى ، أن هذه الطبقة مخزن هائـــل " **للمتناقضـــات** ".. ومع ذلك فإن هذه الطبقة التى لا تملك " **رأس مـــال** " أو " **اليد العاملة** " . سوف تتطلع إلى قيادة المجتمع ، فيتصارع بداخلها تيارين رئيسيين متضادان إلى حد الموت !

"التيار العلمانى المستحدث من الديمقراطى إلى الكومنستى " "والتيار الأصولى بدرجاته من العمل بأخلاق الدين إلى العمل بالسياسة الدينية . عندما يحاول البعض سحب قداسة الدين على أنفسهم ! ".

ومعروف بأن معظم الأفندية ليس بالضرورة معتنقى مبادىء علمانية أو أصولية .. فقد اعتبر الأصوليين أنفســـهم أصحاب شعبية ضخمة فى ضاحية الرمل .. عندما ضـــموا كل الذين يرتادون المساجد فى أوقات الصلاة إلى شعبهم !

أما رواد المقاهى والخمامير والكازينوهات والنوادى .. فهم مع الفريق الآخر . إنهم فى كل الأحوال أقل كثيراً من شعب الأصوليين العظيم .

الأصولى يعتبر مالك الملك .. مالكـــاً للأرض ومـــا عليها ، قد أنابهم لوضع عدالته على الأرض موضع التنفيذ . لذا فلتكن بدايتهم من " **الماضى** "

***

كان " عبد الله " قد حصل على شهادة الثانوية العامة من المدرسة المرقصية . عندما راح يجالس الأستاذ " **رأفت شنودة** " ويستمع إلى تحليلاته حول ما يدور من أحداث عظيمة ومربكة ، إذ بات للمصطلحات التى كانت تطلق على عواهنها مضمون سياسى واجتماعى . كان لقاء الصدفة بالأستاذ فى محطة الرمل وهو ينتقى الكتب والصحف التى سيشتريها .. بداية لعلاقة ممتدة .. والتلميذ الذى كان يجلس على تختة المدرسة يدون كل كلمة يقولها الأستاذ .. بات يجالسه فى المقهى .. ويتجرأ ويناقشه فى بعض الأمور .. واللقاءات كانت تتكرر فى أوقات ثابتة .. وحالة اندماج تتم بين " **عبد** الله " وثلة " **الأستاذ رأفت شنودة** " . حتى أنه أمسى يترقب اللقاء بأفرادها ويتهيأ له منذ اللحظة التى يفترق فيها عنهم . لقد أمسى " **عبد الله** " جزءاً من ثلة يقودها " **الأستاذ رأفت شنودة** " . بأسلوبه المميز الذى تظن به أنك أنت الذى تقوده .

الأستاذ " **رأفت** " مدرس تاريخ ، لكنه قارىء ومبحر فى الحضارات تظن أنك تسمع منه مقطعاً تاريخياً بينماهو يحمل رأيه .. فهو الذى يختار المقطع ، ويلقى به فى وقت معين ليحمل خلاصة ما يثار من مواضيع شتى بين الثلة .

" منذ عام ١٨٠٥ م حتى عام ١٨٤٨ م و " **محمد على باشا** " اعتبر نفسه هو – الدولة – قام بتوزيع الأراضى

الزراعية على أبنائه وأحفاده وأصهاره ومعاونيه .. وسعي لتنفيذ مشروعه . فبات هو الزارع والتاجر والمورد والمستورد .. منذ ذلك التاريخ تحولت الأرض الزراعية فى مصر إلى رأس مال متحرك . أى أن الرأسمالى عندنا حصل على أمواله بالهبة والإقطاع . ولم يبذل فيها جهداً ينتج عنه " **نظام حياة جديدة** " ولما جاء الاحتلال الانجليزي " **الرأسمالى – المعاكس** " ، إذ أن الرأسمالى فى الغرب صعد درجاته المالية درجة درجة " **من تحت لفوق** " . ومع ذلك اتفقت المصالح بين الإثنين .. أولاد الذوات وأصحاب الشركات عابرة القارات .. إذا ما تأملنا المسألة سنجد أن هناك اختلافاً بين هذا وذاك . تماماً كما سيكون هناك اختلاف بيّن – فى طبيعة العامل عندنا .. والعامل عندهم .. حتى الفلاحين عندنا .. يختلفون عن الفلاحين عندهم "

هنا يتوقف " **الأستاذ رأفت** " وينتظر من أحدنا أن يضيف . فالإضافات باتت واضحة جلية .. ما علينا إلا أن نبادر ونرصع بها ما لم يتمه من أقوال : قد يقول " **عبد الله** أو غيره : " آه .. فهمنا .. يعنى بعضهم يلعبها خرساء . أى بدون " **طنطنة** " وكشف لمسار خطواته .. إنهم يلعبونها فى هذه الحالة لأنفسهم .

يقول الأستاذ " رأفت " :

- تمام .. كده .. سيزيحون اليسار جانباً .. ويطاردون اليمين وينفرد أصحاب اللامبادىء " **بالكيكة** " .

•••

هى لحظة فارقة ، فأمام الأحاديث المضيئة ، سيتمكن " **عبد الله** " بأن يعثر على طريقه .. كمن كان مغمض العينيين ورفع جفونه ليشاهد مشهداً يخصه ، ينقله من حال إلى حال ..

وحتى بعد أن اختفى الأستاذ " **شنودة** " فى زحمة أحداث " **العدوان الثلاثى على مصر** " .. وعملية مسك الأنفاس حتى ظهور " **عبد الناصر** " فى مظهر المنتصر على عدوان ثلاث دول .. اثنتان منهما كانتا يمثلان أقوى دولتين استعماريتين فى المائة عام الماضية .

إختفى الأستاذ "**رأفت** " من المقهى .. ولم يعد أحد يصادفه كالعادة .. يمشى متأبطاً الكتب والمجلات والصحف التى يشتريها من ساحة " **محطة الرمل** " .. ثم يمضى عبر حديقة تمثال " **سعد زغلول** " .. مجتازاً فندق سيسل .. حتى يصل إلى مقهاه المواجه لسور الميناء الشرقية الحجرى الغليظ . يجلس ويقرأ حتى إذا ما حل أحد أفراد ثلته . كف عن القراءة وبدأ الكلام ..

اللقاءات التى لم تكن كثيرة .. نقشت فى ذهن " **عبد الله** " نقش الأزمير فى الحجر .. وبات " **عبد الله** "

يمشى على خطوات الأساذ " **شنودة** " .. يذهب إلى " **محطة الرمل** " ، ينتقى الكتب والمجلات والصحف .. ثم يمضى إلى نفس المقهى ، وربما على نفس الترابيزة .. يجلس خلف النافذة الزجاجية .. وقلده أيضاً فى عادة ارتداء البذلة كاملة وعليها يعقد رباط عنق لائق . ويحافظ على أن يرتدى قميصاً نظيفاً كقميص الأستاذ " **شنودة** " الذى كان يبدو وكأنه جاء تواً من عند الكواء .. أو أنه يرتديه لأول مرة ..

ولعل " **عبد الله** " لاحظ أن تلاميذ وأصدقاء الأستاذ " **شنودة** " يقلدونه كما قلده .. ومعظمهم يرتدى البذلة الكاملة .. وإن استغنى أحدهم عن الجاكت ببلوفر ثقيل .. وكان يتخلل كلامهم مقتطفات من كلام الأستاذ .. وجميعهم على اتفاق بمهاجمة الجماعة الثالثة المتوسطة . تلك الجماعة التى لا مبدأ لها إلا مصالحها الذاتية .. مع الادعاء بأنها تعمل على مصلحة الجماعة ، فهم الذين جعلوا كلية " **الشرطة والكلية الحربية** " ، الكليتان اللتان تخرجان السياسيين .. بل جعلوا الذى يحصل على شهادته من الكليتين العسكريتين يعتبر حاصلاً على ليسانس الحقوق ..! ففقدت " **الحقوق** " رونقها القديم . وباتت القوانين هى ما ينطق به الضباط .. وهم فى ملابسهم العسكرية ، أو فى ملابس الوزراء ورؤساء مجالس الإدارات .. والمؤسسات !!

***

كان " **عبد الله** " قد شغل نفسه بكتابة روايته الأولى ليخفف من وطأة " **السجن** " على نفسه . فالجماعة الثالثة لم تكن حتى لتدعى بأنها " **ديموقراطية** " وتستطيع أن ترد على الكلام بالكلام .. وأفراد " **الثلة** " عوملوا بأنهم " **تنظيم** " يسعى لقلب نظام الحكم .. فقد عاد الأستاذ " **شنودة** " للظهور ولطيبة " **قلبه** " كانت الترابيزة يتكاثر حولها الغرباء فلا يكف عن ابداء الآراء الحادة .. ولعل بعض هذه الآراء كان من الصدق أن يلمس العصب عندهم فيثورون .. تم جمع الثلة – حتى الذين انقطعوا عنها – كان عدد المقبوض عليهم خمسة وعشرون .. ولأننا لم نكن تنظيم بالفعل فقد – اعترفنا – بكل ماكان يقال ، على أساس أن بالبلد حرية .. وأننا لم نسع يوماً لقلب أى شيء .. وتم توجيه التهم المغلظة لنا بعد تحقيقات طويلة .. تباطأت النيابة فى إصدار قرار الأتهام .. لستة أشهر . والجميع محبوسون فى سجن " **الحدراء** " .. معزولين عن المساجين العاديين لشهر .. ثم اختلط الحابل بالنابل .. وبدأوا فى الإفراج عن " **الثلة** " تباعاً . حتى لم يتبق إلا الأستاذ " **شنودة** " و " **عبد الله** " .. وثلاثة آخرون .. عندما قرر القاضى إطلاق سراحهم ولم يعترض الرئيس .. أطلق سراح الجميع ..

كان " **عبد الله** " قد كتب روايته الأولى " **زعربانة** " فصلاً .. فصلاً .. لم يتناول بها الشخصيات المهمشة والتى

تدور رغباتها حول ذاتها وما انطبع فى خيالها السقيم .. تلك الشخصيات السبعينية التى ظهرت كمضاد حيوى للشخصيات التى ابتدعها أصحاب الفكر الاشتراكى محددة الهوية .. تناضل بداخل قضية معلومة الأبعاد .. تحاول الوصول إلى الغايات من الثورة .. قضيتها ليست شخصية بحتة .. يريد صاحبها وقف حال كل القضايا فى العالم لصالح قضيته .. كان " **عبد الله** " قد كتب روايته وجعل إضراب عمال شركة " **سباهى** " للغزل والنسيج محوراً ، ينعكس على سكان حى " **زعربانة** " الوافدين من وجه قبلى وبحرى .. وكيف أن العامل الفلاح الذى يريد أن يعيش فى حاله بالضغوط التى يتعرض لها تحدث له التحولات العظمى .. وكأن الضربات التى توجه له من " **الجماعة الثالثة** " تزيد من قامته وترفع هامته عالياً .. إذا ما قرأ الأستاذ " **شنودة** " فصول الرواية .. ابتسم ثم عبس وأخذ يمسد شاربه الكثيف مفكراً .. و " **عبد الله** " ينتظر رأيه .. هز رأسه موافقاً وقال : " رواية رائعة – لكن لن ينشرها لك أحد .. الكتابة حول الإضرابات العمالية خطر .. إنهم يريدون من العمال نسيان إعدام خميس والبقرى .. فتأتى أنت لتشير إلى مقتل عشرين عاملاً غرقى فى ترعة " **المحمودية** " ..

– لكن ذلك حدث قبيل حركة الجيش ..

– ولو .. يا أستاذ . ولو.لقد صارت لك " **كارتة** " عندهم!

٥

[بحرنا يهدر فى الشتاء .. ويهمهم فى الربيع ، ويهمد فى الصيف .. لكنه على مدى الفصول يغنى للمدينة النائمة علــى طول شاطئه]

***

ضاحية الرمل – فى ذلك الزمان – كانــت مرتعــا لطفولة " **عبد الله** " وصباه .. هو الذى ولد وفى فمه ملعقــة من صفيح صديء .. كثرة امتصاص " **عبـــد الله** " لملعقتــه التى من سموم .. سممت جسمه تدريجياً .. السم يرفع درجة حرارة بدنه ليوم .. لشهر .. لسنة ..

"وصوت " عبد الحليم حافظ " لم يزل يــدوى بتلــك الأغنية العاطفية .. فى يوم .. فى شـــهر .. فـــى ســـنة .. تهدى الجراح وتنام .. وجرح عمرى أنا .. أطول من الأيام"

جراح " عبد الله " لم تؤدى به إلى الوفــاة .. إذ أنـــه كان يمرض عندما ترتفع درجة حرارة جسمه عاليـــاً .. ثـــم تخفت الحرارة .. وتعود وترتفع وتخفت .. فتحدث له عملية

التعقيم ، ذلك كان يكسبه – فيما بعد – مناعة قوية ضد العديد من السموم التى تدفع فى طعام أو شراب .. أو مناقشــات .. وخطب سياسية .. أغانى عديمة النفع .. تمثيليات ممطوطــة .. أفلام تخاطب الغرائز .. كتب تثبته فى مكانــه .. خمــر فاسد .. أصدقاء لايقرون إلا بمنــافعهم الماديــة .. زمــلاء جواسيس .. جواسيس فى صورة رواد مقاهى ولهم باع فــى التحريض ضد الحكومة .. لا يهــدأون إلا إذا جــروك لأن تسب من يسبونه .. بعدها ينكبون علــى كتابــة تقــاريرهم ويقدمونها لمن يدفع .. فالغرض الأساسي هو الحصول على المظروف المغلق على المكافأة .. فهم يشطبون من تقاريرهم كامل الخلفية ، فلا يتبقى إلا " **جنابك** " وأنت تسب الحكومــة بدون أسباب واضــحة .. وعلــى الرجــل الأمنــي الــذى سيستدعيك ويوقع فى نفسك شيء من المهابة والرعب قبــل استجوابك والوصول إلى أهدافك الخفية من سب الحكومــة . إنه صاحب المخصصات الضخمة والإنفاق السرى وعليه أن يبرر نفقاته بأن لا يتساهل معك . بل سيكون بارعاً فــى أن يضع على لسانك ما يريد سماعه .. يدفعك إلــى نــوع مــن التحدى بأن تضع نفسك فى المكان المراد .. ليعيــد عليــك السؤال .. " **حسناً أديك شتمت الحكومة .. أمال كنت بتنكــر ليه . أن ليس لك موقفاً سياسياً . وكنت تثير " البلبلة " فى الأماكن العامة ؟!** ".

وعلى الرجل الأمني المخلص لعملـه .. أن يوقـع عليك العقاب بالصورة التى يرضاها .. لكن أى عقاب هـذا الذى يفيد فى حالة قط بسبعة أرواح ؟!

تلك النعمة التى بات " عبد الله " يحمد الله عليهـا .. فالمناعة التى اكتسبها – جعلته – إذا مر بالتجربـة المريـرة يتناساها ويعود إلى طبيعته بدون عقد تذكر . بدون أضـغاث أحلام تلازمه فى الصحو والمنـام .. نعـم المناعـة تقـوم بالشطب لما يحدث له .. لكنها لا تمنع ما يحدث . يظن بـأن عزيمته قوية ، لكن عند الاختبارات المريـرة سـيجد نفسـه واحداً ضمن عدد من الوحايد .. كل ما سيعمل على تقويته . أن يصمد لأطول فترة ممكنة .. أن يعتقد اعتقاداً جازماً بـأن التخلص من أمثاله لن يتم إلا إذا نشنوا على عضلة القلـب وطخوها بالرصاص ..

لكنهم فى الواقع كانوا بارعين .. إذا ما قبضوا عليهم عملوا على تفريقهم حتى لا يتقـوى أحـداً مـنهم بـالآخر ويتسربل بالبطولة .. وفى عزلهم يتم وضع الأسـافين فـى علاقاتهم .. بأن كل منهم بات ضحية للآخـرين ، يريـدون جعله معبراً لنجاتهم .. فيخرج الجماعـة أكثـر " وحـدة " بأنفسهم .. أكثر إحساساً بعمليات العصر ..!

للعصر معنيان .. أحدهما ينم على الوقت الحالى .. والثانى ينم عن الاعتصار ..

لكن ما يتبقى للأشــقياء الفــرادى ، هــو التمســح بالجماعة .. والظن بأنها باتت من الوعى واليقظة والعصرنه بأن لا تتحول المدينة إلى منفى وســجن كمــا كــان يفعــل المماليك بالمدينة فى عصــرهم .. إذا مــا ضــاقوا بــبعض الرؤساء أو الأتباع زجوا بهم إلى الإسكندرية .. يحبســونهم هناك ويرسلوا خلفهم بمن يخنقهم فى ليل .. على أســاس أن المدينة هى ميناء ترسو بها السفن .. والســفن التــى ترســو ستقلع ، بما يفيد بأن المنفى آثر أن يغادر البلاد خلسة . ولن يعرف أحد بأنه غادر الدنيا وأكل جثمانه البحر المالح ..

المدينة لم تعد صغيرة .. بها عدد من الألوف الغافلة .. " **محمد على** " أوصل النيل بالمدينة ، فتبــدلت بالأعــداد الكثيفة من السكان .. من الضرورى أن تتبــدل كثيــر مــن العادات أيضاً !

***

ما يكتسب من خبرات فى أيام الطفولة لن يضيع بدداً – عند كل الناس وليس عند " **عبــد الله** " فقــط – والمعنــى بالطفولة هنا المرحلة التى يعال فيها الشخص . وتسمى بــــ " **المعيلة** " .. والذى يعال .. عيل .. وهى تمتد على طــول السنوات التى يعال فيها حتى لو كان عمره يتجــاوز العقــد الثالث .. العيل عيلاً حتى يكون مسئولاً عن آخرين ويلتــزم خط الآباء فى السير .. يتحول إلى " **حمار شــغل** " ويعمــل

خدة مداساً لأناس كل مواهبهم أنهم ورثوا مالاً واستثمروه ،

وتقدم هو للعمل عندهم ..

الطفولة الحقة هى ألعاب أيام الصبا .. وكل راو يروى ما عاشه . " **عبدالله** " اذا ما استدعى أيامه .. استدعى معها أقرانه .. عندما كانوا يتجمعون عند بيت " **أم ممس** " .. على عتبته الرخامية بالزقاق المفضى إلى شارع "**الكسائى**" بجانب دكان عم محمود " **بتاع الفلافل** " وبدون كلام ، اذا ما اكتمل تجمع الصبيان يتهيؤن ويمضون ، يحدون فى السير يعبروا شارعى " **كارفر** " و " **لافيزون** " ويتلكئون اذا ما وصلوا إلى شارع " **السير وينجت** " .. هنا يكون سيرهم فى طابور يضم من خمسة إلى ستة أولاد .. خفاف الحركة ، حتى السمين منهم يباريهم فى الجرى .. الطابور يعرف ما يبحث عنه . انهم يرسلون النظر بداخل حدائق قصور وفيلل الشارع الهادئ **المتراص** بأشجار " **الفيكس الشمعية** " تظلل أرصفته .. وأسوار حدائق القصور من بناء منخفض يعلوه سياج من حديد ، يتخلل السياج أوراق وأغصان الشجر ، والحدائق مزحومة من الداخل بأحواض الزهور ، مع الأشجار المثمرة .

هنا الأولاد يحددون تلك الأحواض من الزهور .. وأى الأزهار لا يردها الشارى ، وسيدفع فيها ثمنا مرتفعاً..

[الزهور لم تكن قد فقدت مكانها أمام البرتقال أبـو سرة .. والموز أبو نقطة كرسائل تحمل أغراضها عند تبادل الزيارات .. فعملية التمصير لم تكن قد تكاملت حتـى تبـدل عادات علية القوم لذا فأن دكاكين بيع الزهور لم تكن تخلـو من شخص يتعامل مع أولاد " **زعربانة** " اذا ما أحضروا لـه ما حصلوا عليه من زهور لن يسألهم من أين أتوا بها .. فهو سيدفع أثمانا زهيدة بما يعنى أنه يعرف مصدرها ، لكنه لـن يلمح بذلك .. إذ أن بعض التحاور فى هذه الحالة تصلح لـه حواس أخرى غير اللسان ..]

***

بعض أصحاب القصور والفلل يحلـو لهـم وضـع عشش الدواجن والطيور فى حديقة منازلهم .. فـى رعايـة الخفراء والخدم والبستانيين .. عيال " **زعربانة** " سـيحددون ما سينقضون عليه ، ويقيسون قوتهم بقـوة خفـراء وخـدم المكان . ثم يختارون مكان الدخول إلى الحديقة مـع توزيـع الأدوار .. عيال " **زعربانة** " تدربوا علـى الجـرى وخفـة الحركة بالألعاب اليومية ..

سبع طوبات ، المساكة ، عنكب يا عنكـب ، أولهـا اسكندرانى ، بجانب ألعاب الذكاء .. البلى ، النحلة ، القمـار بتذاكر القطارات الخضراء الكرتونية .. وبغطاءات زجاجات المياه الغازية .. وبنوى المشمش جـوز وفـرد .. والـذين

يلعبون يومياً يملون من التكرار والملل يدفع إلـى مغـامرة حريفة . لن تكون المغامرة حريفة وممتعة إلا إذا كان طرفها الآخر خطيراً . والتحدى فيها كبيراً وتخالف الأعراف . كما أن الفوز فيها يكون مربحاً ، فسرقة أحواض الزهـور يـأتى بالنقود ، والنقود تأتى بالطعام السوقي والفواكه والحلويـات . أيضاً قطعة الثمار الناضجة من تلك الحدائق .. حتى التى لم تنضج ، فذلك يثير الخفراء والخدم .. أمـا إذا تمكنـوا مـن الوصول إلى أعشاش الدواجن وسرقة بعضها ، ففـى ذلـك تحدث المغامرة الكبرى . والتى تتطلب التمهيـدات اللازمـة من مراقبة وتسلل وتوجس خيفة من رد الفعـل للخفـراء . واللهاث مـع توزيـع الأدوار. والتحـذيرات التـى تعقبهـا المطاردات المثيرة ، تلك التـى تكـون معرضـة لوقـوع الإصابات وإحداث الجروح وقطع الأنفاس مـن الجـانبين . ولما كان الخفراء والجناينية والخدم جميعهم يأكلون من طعام الناس الأكابر .. بل يسرفون فى إلتهام ذلك الطعـام . كـان عيال " **زعربانة** " يضعون ذلك فى حسـاباتهم . فيحصـلون مقدماً على عدة نقاط فى إحتمالات الفوز بمـا يقتنصـونه . وبالطبع لن يكون الحراس والخدم فى خفة الـذين يعيشـون على أنصبة تتناقص بحكم إزدياد أفراد العائلة مع ثبات كمية الطعام . ومن هنا سيكتسب أولاد " **زعربانـة** " سـرعة رد الفعل.وسرعة فى اليقظة.وسرعة فى الجرى والزوغان !

إذا ما استولى الأولاد على عدد من الـديوك التـي تتصايح كزمارات الإنذار فور الانقضاض عليها والإمسـاك بها . فإن جملة من الخدم والخفراء سوف يحاولون حصارهم والإمساك – بالحرامية – يحيطون بمن هم داخل الجنينة حتى لا يفرون بما فى يديهم . ولكن الأولا د سريعاً يقذفون بما فى أيديهم خارج الأسوار ، فيتوقف المشهد لحظات حتى يـرى أصحاب الدواجن أين ذهبت دواجنهم. فـي تلـك اللحظـات القصار .. سيتمكن الأولاد من الزوغان ، والوصـول إلـى الشارع . والخدم والحراس يصـنعون ضوضـاء " **إمسـك حرامى .. حلق من عندك يا إدريس .. أقف عندك يا ولـد** " لكن الولد سيكون تسلم الشارع ، وإذا ما خرج خلفـه الخـدم مندفعين يقوم أحد الأولاد بشنكلة أول المنـدفعين ، فيسـقط كبيرهم يتخبط على الأرض .. وذلك يرغم واحد أو أكثر أن يتعطل عن ملاحقة الفارين . إذ لابد أن يتوقف واحد أو أكثر ليعالج ما أصاب الذى سقط .. حتى إذا ما كان خفيراً أو أكثر يطارد الأولاد ، فالأولاد فى رمحهم يجعلون الشـقة تتسـع بينهم وبين مطارديهم .. وسريعاً ما يحل التعـب بمـن لـم يتدربوا يومياً على الجرى ، فيتوقف . ويـبح صـوته مـن الزعيق .. هنا يهدأ الأولاد وعلى مرمـى حجـر يتوقفـون وبأيديهم الديكة تتصايح .. الخفراء يتحسـرون بـأن يفلـت العيال اللصوص بما نهبوه . والمغامرون الصغار يستمتعون

بفوزهم بأنهم خططوا وأفلحوا .. لكنهم لا يستطيعون العــودة بما سرقوه إلى بيوتهم ، فآبــاؤهم إن علمــوا بمــا فعلــوه سيعلقونهم من عرقوبهم ويوسعونهم ضــرباً . ومــنهم مــن سيبيت ليلته مربوطاً فى رجل السرير الحديد ، " كيف تسرق يا ولد ؟ هل تريد أن تكون لصاً وتأكل الحرام ؟ هل تريد أن تدخل السجن وتتحول إلى مجرم ؟ ألا تعلم بأن إذا دخل فى جوفك لحم الديوك الحرام يسعى فى معدتك مســعى النــار ؟ أهذه نتيجة تربيتنا فيك وأنا أطفح الدم لنعلمك ونربيك ؟ لــن تلعب مطلقاً مع أولاد الحرام الذين سيفسدونك ؟ فاهم .. ؟ "

والولد لا يعرف لماذا اشترك فى الســرقة . ولمــاذا أتى بذلك الفعل ؟ ولماذا كان مستمتعاً بكســر أشــياء تبــدو صعيبة على الكسر ؟ ولماذا يعرض نفسه للخطــر ، فالــذي سيسقط بين أيدى الخدم والخفراء المعلوفين جيداً سيضربونه بكل حنق وقسوة .

سيحصل على علقة نصفها موت ، ولعل " عبد الله " منذ هذه اللحظة يقرر بأنه لن يفعل ذلك ثانية .. وإذا ما كــان يذهب إلى المدرسة ينوى الاهتمام بدروسه .. ليرضى والــده الذى يشاهد فى عينيه كثير من الحزن والألم .

ما يشاهده " عبد الله " فى عين والده يكون أقسى من الضرب وأفظع من القيود ، وكل ما وبخ به ..

لكن " عبد الله " سوف يرى بأن الآباء الذين هـــالهم بأن أولادهم يسرقون من حدائق الأثرياء لا يعملـــون علـــى إعادة المسروقات إلى أهلها . إذا ما كانت ثماراً أو دواجن .. تؤكل .. وإذا ما كانت زهـــورا .. تبـــاع ويســـتغفرون الله العظيم كثيراً .. حتى ينصلح حال أولادهم ..

تناجى أم " عبد الله " ربنا " **سامحنا يارب .. نحن لا نستطيع أن نفضح إبننا عند الناس الأكابر .. إذا ما استدلوا عليه .. جرجرونا فى أقسام الشرطة .. وحبسونا .. سامحنا يارب ونحن نأكل هذا الديك وربنا يكثر من ديوكهم " !!**

***

٦

[النخيل اذا ما ابتعد عن النيل وطال ماء البحر .. فقد شيئا من مادته السكرية .. اذ أن بحرنا يرتعد من برد الشتاء ، فيثـور على النخيل السامق ، يجد تسليته فى تعكيـر عصارته الحلوة ..]

***

عاد الأستاذ "**رأفت**" شنودة إلى مقهاه بالإسـكندرية . استقبلناه بترحاب وشوق لأحاديثه .. كان قد اختفـى مـن الإسكندرية ولم يعد أحد يقابله فيها ، وذلـك قبيـل العـدوان الثلاثى على بورسعيد .. وجهنا له كثيرا من الأسـئله حـول غيابه المفاجئ واكتفى بأن قال : -

- بعد وفاة والدى فى المنيا . سافرت إلى هناك . كنت أظـن بأننى سأقضى بضعة أسابيع من الصيف واعود . لكن أخوتى أصروا بأن ننتهى من تقسيم الإرث الذى خلفه لنـا والـدنا . ولم يكن كبيرا . فدانين وثمانين نخلة وبيت . ونحـن أربعـة اشقاء ذكور وبنت . ووالدى كانت عليه مديونيـه لعـم مـن اعمامنا . وله دين عند عم أخر . ترك فـى مقابـل الـدين نصيبه فى ماكينة الرى ، يستغلها إبن عم لنا . حتـى يـرد الدين . وأثناء التقسيم وفض المشاكل حـول الإرث ظهـرت

الأطماع فالذين يعيشون فى المنيا مزارعين لايريدون التفريط فى الأرض مع أن أمكانياتهم المادية لاتسعفهم فى الشراء . ليمكن إقناع ساكنى المدن ببعض المال . أخى " **صبحى** " يكبرنى . لم أكن أعلم بأنه مريض بالقلب . أثناء احتدام النقاش بيننا سقط ميتا . لم نستطيع اسعافه . وأخى " **عدلى** " .. فلاح .. يطمع فى الأرض – ابلغ " **المركز** " بأننى واخى " **مترى** " تسببنا فى موت " **صبحى** " . كان " **عدلى** " يريد أن يتخلص منى متحالفاً مع أولاد صبحى . اذا ما حبسنا يأكلا حق أختنا وينفردا بالميراث !

قال الأستاذ " **رأفت** " ذلك وتطلع نحو البحر وكأنه يتحدث عن ماضى سحيق ، ثم رفع وجههه نحو السماء الصافيه ولاذ بالصمت.نحن ثلته،نعرف بأنه لن يطيق الصمت طويلا . استعاد نفسه . وفهمنا بأنه تعرض للحبس والأ ما غاب أكثر من عام . وقلنا له مهنئين : " حمداً لله على سلامتك يا أستاذ .

كنا فى شوق أن يحلل لنا ما حدث . العدوان الثلاثى على " **مصر** " قد وقع وخرج منه " **عبد الناصر** " أقوى مما كان . "واسرائيل لأول مرة تفصح عن دورها الحقيقى وتلعب دور مخلب القط لدولتين إستعماريتين [سوف يتراجع دور الدولتين الإستعماريتين منذ حرب السويس لتعمل اسرائيل لدى امريكا بنفس الوظيفة فتوفر لها الحمايه المطلقة " .]

تدخل ألاستاذ " **رأفت** " وقال :

– لا تندهشوا بأن الحرب بدأت وانتهت سريعا . فقد أخطأت انجلترا وفرنسا . وتعاملا مع أمريكا على أنها التى ستنقذهم فى الوقت المناسب كما حدث فى الحروب السابقة .. لم يكن قد قدرا بأن الأمريكان قد قرروا بأن يلعبوا دور* البيج بوس .*

بدأنا نهتم ونضيق الحلقة حوله ، لكنه توقف عن الكلام فى هذا الموضوع . وكأنه أعد لنا موضوعاً آخر يملأ به فراغاً اكتشفه فى غيبته .. ونحن نتهيأ لما سيدفع به حول السياسة العالمية . إذا بالأستاذ يتكلم عن " **السياسة الداخلية** " عن فترة كانت قبل " **حركة الجيش المباركة** " وهو فى ذلك لا يحيد عن كونه " **أستاذ** " يبنى " **ثقافتنا** " مدماكاً فوق مدماك.

•••

" الفترة من ٢٨ فبراير ١٩٢٢ م إلى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م " لها مميزاتها عما سبقها ، أو جاء بعدها من فترات ، ففيها كانت أول وآخر المحاولات لظهور الأحزاب السياسية المشاركة فى الحكم "بمصر " . وفيها انتقلت مصر من " سلطنة " إلى " مملكة دستورية " ، فيها تبادلت الأحزاب " كرسى الحكم " ، فكان رئيس الوزراء يأتى عقب إجراء الانتخابات ببرنامج سياسى ، ويحدث

الكثير من التغيير بقدر ما تسمح به المرحلة في وجود الانجليز في المدن حتى عام ١٩٣٦ م .. ثم في معسكراتهم على خط قناة السويس بعد توقيع المعاهدة التي وصفت بأنها الزواج الكاثوليكي بين بريطانيا ومصر . ومع هذا الانتقال كان تواجدهم طاغياً . ففي ذلك الوقت الحياة كانت مفعمة بالأحداث المتلاحقة . الصحافة تكتب ، والبرلمان يناقش والأحزاب تتنازع ، حتى أن كل شيء سيكون مكشوفاً للناس . والاجتماعات الحزبية تتلاحق . ذلك كان يضفي على " الشارع المصري حركة وزخماً " . عرف هذا الزخم فيما بعد .. بالحس الليبرالي في " مصر " .

كان الانجليز قد عزلوا الخديوي " عباس حلمي الثاني " . إذ ظهرت ميوله العثمانية والحرب العالمية الأولى على الأبواب . الانجليز في معسكر مناهض للأتراك ، والخديوي " عباس " كان يساند الحزب الوطني الذي أسسه " مصطفى كامل " ليطالب بجلاء الانجليز ويكشف استبدادهم في المحافل الدولية . مستخدماً المنبر الفرنسي ، مما أشعل الأفئدة ، فاندفعت المظاهرات تطالب الانجليز بالجلاء . ولكن ذلك كان في إطار ثبات

العلاقة بين مصر والدولة العثمانية - وذلك التوجه سيختلف فى أيام " محمد فريد " الذى سيغادر مصر ويعمل بالقضية الوطنية خارج البلاد .

ولم يعد خافياً بأن الخديوى " عباس " تبلور موقفه ضد الانجليز . كما أنه كان ضد منافسى حزب " مصطفى كامل " ، هؤلاء الذين انفرطوا فى اتجاهات مختلفة بعد هزيمة " عرابى " وطرد " الأفغانى " من " مصر " . لقد بات لكل جماعة توجهاتها . منهم من رأى ضرورة عودة " مصر " إلى أصولها الإسلامية . ومن رأى بأن الأفضل " لمصر " " الأصول الفرعونية " . وجماعة رأت بأن السلامة فى الارتباط حضارياً مع الإنجليز لاكتساب العصرنة وتشجيع علمانية " اللورد كرومر " ومساعدته على تحديث " مصر " وتخليصها من خرافات الماضى . حتى لو ظلت " مصر " لفترة كمزرعة . وأفندية " حزب الوفد " سلموا بأن ترتبط " مصر " بالانجليز ، على أساس منحها الاستقلال أولاً .. ومنهم من رأى بأن تستقل " مصر " عن كافة التيارات وتهتم بعروبتها . كانت تلك التيارات تتطاحن . والمحتل يجد من يمسك له بقرون " البقرة " لكى يحلبها لنفسه لآخر قطرة !

الحرب العالمية الأولى لم تؤخر إندلاعها ، حتى يعثر المصريون على طريقهم الملائم بين خلطة الطرق المتشابكة . ومع فرض الأحكام العرفية منذ عام ١٩١٤ م تم تعيين " حسين كامل " سلطاناً . وبالأمر العسكرى أوقفت كافة المسارات حتى تنتهى الحرب . لكن بعد فترة وجيزة مرض السلطان " حسين كامل " مات ، فأسند الإنجليز وظيفة " السلطان " إلى " أحمد فؤاد " .. كان " فؤاد " قد شعر بمرارة كبيرة عندما تخطوه . إنه إبن " الخديوى إسماعيل " . وشاء حظه بأن تنتهى الحرب العالمية الأولى بانتصار الجبهة التي بها قوات الاحتلال لمصر ، فتم ترقيته من سلطان إلى رتبة " ملك " ، وجلس " أحمد فؤاد " على عرش مصر باسم " فؤاد الأول " .وقد استفاد فائدة قصوى من تصريح ٢٨ فبراير١٩٢٢ م . ليصبح ملكاً يورث العرش لذريته . ولكن دستور ١٩٢٣م كان قد حد من سلطاته ، جعله ملكاً دستورياً . يملك ولا يستبد ، فالحكومة ستكون مسئولية " رئيس الوزراء " الذى سيكون لحزبه أغلبية في مقاعد البرلمان ..

ولما أجريت أولى الانتخابات على ضوء " دستور ٢٣ " اكتسحها حزب الوفد وفاز بمعظم الدوائر ، وجاء "

سعد زغلول " رئيساً للوزراء ، فهو البطل الذي دافع عن حقوق " مصر" عقب الحرب . وهو الذى اعتقل وتم نفيه مع أصحابه خارج البلاد ، فاندلعت المظاهرات حتى تصادمت مع السلطة الإنجليزية ، فتم الإفراج عن " الوفد " ليذهب إلى باريس ويمثل الشعب المصري . ونضال هذا " الوفد " أرغم الإنجليز على أن يصدروا تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م بمنح مصر نوعاً من الاستقلال . وعمل الانجليز على أن يصدر " دستور ١٩٢٣م - في أولى المحاولات لنقل الديموقراطية الإنجليزية إلى مصر . أن يكون الحاكم الفعلى هو رئيس الوزراء المنتخب وليس الملك .

لكن الملك فؤاد لم يبتلع تلك الديموقراطية المقيدة بالاحتلال والتي فرضها الانجليز على البلاد . والبلاد من قراها إلى مراكزها إلى مديرياتها . حتى في مدنها الكبرى ، يدار الحكم فيها بالأعراف ، ويتحكم في الأصوات الآباء والعمد وأصحاب العزب والأراضي ، وكتل الجماهير غير الواعية بحقها في حكم نفسها .. تساق كالأغنام لتدلى بما يملى عليها . وقد رأي الملك " فؤاد " بأنه وحده الذي يخسر في هذه الحالة . الدستور ينزع

منه نفوذه كحاكم شرقي . إذ تعمل بنوده على تقييده وشل رغباته . وأن مفتاح ذلك النفوذ يستولى عليه " رئيس وزراء " الذي لا يعبر حقيقة عن الأغلبية الفقيرة غير الواعية . إنه يعبر فقط عن مصالح جماعة صاعدة ومتحالفة مع الإنجليز .

ولما كان الملك " فؤاد " يرى بعينه بأن ثمة تقسيمة بمصر تدور حول الثروة وليس " الثورة " . وتلك الثروة باتت مملوكة وما عليها " لأبناء الذوات وللأعيان والإنجليز وعلى وجه الدقة للأجانب " . وهو وحده الخاسر . إذ أنه ابن اسماعيل الذي عزل وتقلصت ثروته . وتوفيق تحالف مع الإنجليز ، فأثرى وثرائه ذهب إلى أولاده . ولم يعمل لإخوته ،وكانت رغبة " فؤاد " في "الملك " ليس لأنه صاحب قضية أو مشروع ، بل ليحصل على نصيبه من الثروة . لذلك رأى بأن " دستور ١٩٢٣م " وضع خصيصاً لشل حركته وإفقاره.

لذلك كان الملك فؤاد وحده في مواجهة ثلاثة أعداء .. العدو الأول " هؤلاء الذين استولوا على ثروة البلاد ثم باتوا يتشدقون بالديموقراطية وهم " أولاد الذوات " والمقصود هنا تحديداً أفراد عائلته الذين

يستكثرون على " فؤاد " ما وصل إليه . إذ عين " سلطاناً " وكان يمكن عزله في أي وقت ، فإذا بالأوضاع السياسية تسانده ليصير ملكاً للبلاد . و " كثير من الطامعين " في عرشه لا يتورعون عن دق الأسافين في سيرته عند الإنجليز - وذكر مناقبهم .. وهناك " محمد علي " ابن " توفيق " يذكر الإنجليز بأفضال والده على تواجدهم في " مصر " وتحالفه معهم ومعاونتهم لهزيمة عرابي وإزاحة العرابيين " .

العدو الثاني [هم الأعيان الذين يمثلهم " حزب الوفد " . بات لباشاواتهم ثروات وأراض ، تجعل فلاحينهم وأفندياتهم على ضوء " دستور ١٩٢٣م " هم القوة التي تصعد لتحكم باسم الحياة النيابية] .

أما العدو الثالث [فقد كان الإنجليز ، إذ أن تربية " فؤاد " كانت بين الطبقة العليا الإيطالية ، وقد صار ضابطاً في الجيش الإيطالي ، فهو لا يميل لمن أصابوه بإحباط شديد عندما اختاروا " حسين كامل " سلطاناً وتخطوه ، حتى أنه بات لا يجد مستقبله في " مصر " ، فتطوع بأن يعمل نائباً لملك " إيطاليا " في " ليبيا " .. ولكن مساعيه فشلت] .

الملك " فؤاد " كان قد تزوج من " شويكار " وحدث بينهما الطلاق ، فتزوج من " نازلى " التي أنجبت له " فاروق " وهو الإبن الوحيد الذي بقى لفؤاد بعد وفاة ابنه إسماعيل " الذي أنجبه من " شويكار " . فاروق على ثلاث بنات " فائقة " أخته غير الشقيقة .. و " فوقية وفريال " من أمه " نازلى " . ولما كان الملك " فؤاد " متأثراً بما تلقاه في روما . رغب فى أن يرسل بإبنه " فاروق " إلى روما .. ليندمج في المجتمع الإيطالي هناك .. لكن والإنجليز في مصر يتحكمون .. والعداء يحيط به من كل جانب ، أرغم على أن يسلم بأن يرسل إبنه " فاروق " ليعيش في المجتمع الإنجليزي بلندن .

كان الملك " فؤاد " منذ صعد على عرش " مصر " يرغب في أشياء . ويرغم على أن يفعل ما لا يطيقه ، ومع ذلك كان يحاول .. يتصلب ثم يلين ، وهو منذ عام " ١٩٢٤م " كان يترقب أية ثغرة لينفذ منها ويحقق شيئاً من طموحاته . وأهم تلك الطموحات زيادة ثروته لتلائم مركزه كملك للبلاد . وكثيرون من الأسرة العلوية يفوقونه ثراءً . وحتى الذين من غير الأسرة العلوية ، فقد كان بعضهم يفوقونه ثراءً أيضاً .

وقد جاء مقتل السردار الإنجليزي . وإقالة حكومة " سعد زغلول " فرصة مواتية للملك " فؤاد " ، وقد انتظر عدة سنوات أخرى ينخر في ذلك الدستور حتى توصل إلى دستور " سنة ١٩٣٠م " ، الذي سيفصل على مقاس البعض وفيه تفسح السلطات الواسعة للملك وللمستثمرين وللرأسماليين ولتزوير الانتخابات . وقد أمكن للملك فؤاد في فترة وجيزة أن يثري نفسه بضم الأراضي الزراعية والعقارات وبناء القصور والاستيلاء على التحف والآثارات .. ويزيل عن نفسه تهديد ذلك " الفقر " الذي لا يستقيم مع مكانته وسلالته ، لقد كان دستور ١٩٢٣م يشل حركته ، ولكن دستور ١٩٣٠م أفسح المجال له وللأثرياء عموماً بأن يستولى واحد بالمائة من السكان على خسمة وستون بالمائة من ثروات مصر . وأيضاً ليستبعد حزب الأغلبية من الساحة بنفس الأسلوب الانتخابي .

لذلك حاول " فؤاد " أن يطبع ابنه " فاروق " بما وصل إليه . وأن يجعله داهية لا يفرط في سهم من ثروته بل يزيدها . وقد تبين له بأن قوته لن تكون إلا في ذلك الثراء الذي يحيط به نفسه . ولكن " فؤاد " كانت تحركه المخاوف مما حوله ، فقد زرع في نفس ابنه الخوف من "

أعداءه الثلاثة . الوفد .والطامعين في عرشه من الأسرة العلوية .والإنجليز " . وتبين له بأن بين هؤلاء الأعداء قوة قد تقهره ، وأنه لا يستطيع أن يكون ملكاً إلا إذا تعامل مع الثلاثة بقوة ودهاء .. ذلك جعل " فاروق " الذي عاش طفولته وصباه في المجتمع الإنجليزي . لا يتقبله ولايسمح لتقاليده بأن تتغلغل في نفسه ، لذا فقد أخذ من ذلك المجتمع حرية الصعلكة والضرب بالوصايا عرض الحائط . مع أن من كانوا يرعونه ويربونه " عزيز المصري وأحمد حسنين باشا " ، فلم يتأثر " فاروق " بأحدهما .

وقد نشأ على التدليل كابن وحيد ، مما حدا بـ " فؤاد " أن يعزله تماماً عن الحياة العادية التي كان يمكن أن تكون مجال دراسته الأوليه النافعة . والملكة " نازلى " أم " فاروق " كانت تخشى من تلك العزلة أن تفسد إبنها ، فكانت تحاول أن تزيل بعض مخاوف الفتى من حزب الوفد وتقدم له " النحاس باشا " على أنه رجل فاضل ، ويمكن أن يتعلم منه الكثير . كما أنها دفعت بالرحالة " أحمد حسنين باشا " ليكون معلماً له ، ولديه إلمام بطبائع الشعوب . وكانت توصى عليه " عزيز المصري " الذي

كان ضابطاً شجاعا في الجيش التركي . ثم سكن في " مصر " ليتحدث عن قوميتها .. ويحذر من الذين يعيقون أملها في الحياة الحرة الكريمة .

وحالات الشد والجذب في حياة " فاروق " أدت إلى إفساده . فلا أحد يوجه اللوم له إذا اتى بعكس المعتاد . لذا فقد وجد في ذلك لهوه وتسليته !!

إذ أن كل من حوله يجتهدون ليوجدوا لتصرفات " فاروق " الشاذة ما يبررها . وتلك التربية دفعت بـ " فاروق " أن يكون غير راض عما يحوزه ، فهو يتطلع دائماً إلى ما في حوزة الآخرين .. وزاد من إفساده ذلك " المحيط " الذي نشأ فيه " أمير الصعيد " ، لا يحتك إلا بالخدم والحشم ، فالملك " فؤاد " عندما لم يفلح في فرض الإيطالينن بدلاً من الإنجليز بحكم نشأته ، فقد ملأ قصوره بالخدم من الإيطاليين . الحلاق ، الكهربائي ، الطباخ ، الدادات ، الوصيفات ، البستانية .. " فاروق " وجد نفسه بين رهط من الإيطاليين البسطاء ، الذي لا ثقافة لهم تصلح لملك قادم .. ماذا يعطيه الخدم من ثقافة إلا ثقافة الموانئ والشوارع والمواخير . وقد سيطر بعضهم على " الأمير" منذ مراهقته .. وأفلح " بوللي " بأن

يملأ مراهقته بالواقع المحسوس ولا يترك لخيال " فاروق " مساحة للرومانتيكية ، تلك الشراهة في المراهقة لازمته حتى بعد ما صار ملكاً للبلاد وإماماً للعباد وتزوج من آنسة رقيقة فاضلة " صافيناز ذو الفقار " التي عرفت بالملكة " فريدة " .

كانت أيام إفساد " فاروق " تستدعيه ، فينسى مركزه ووضعه كملك ويتدنى ، بل يتخبط في غرائزه ، ولذلك عرف " فاروق " بأنه الملك الذي يسطو على كل شئ .. من الأشياء التافهة .. إلى نساء الغير .. ثم على أملاكهم وثرواتهم . ولما عرف عنه ذلك ، هيأوا له ترابيزات القمار ليخسروا أمامه المبالغ التي يريدها . وبها يتم تسهيل أعمالهم لاستعادة ما دفعوه مضاعفاً . وهكذا كان يتم بيع الألقاب والمناصب وتعطى الموافقات على تنفيذ أو وقف تنفيذ المشاريع في " مصر " .

لقد صنع " فؤاد " من فاروق ملكاً رعديداً ، يأتي بالراقصات الحافيات إلى مخدعه . وإذا تسلى ، يلعب القمار في " كلوب محمد على " أو " نادي السيارات " . وقد أحاط به كبار الأثرياء من المتمصرين ونسائهم . وكان اليهود لا يتركونه لحظة إلا ويحيطون به . مدام "

صيدناوي " أشعلت للملك " سيجار " بولاعاتها الماس الأعجوبة . أعجب الملك بها بعد أن شاهدها ، لم يخطر على بال مدام " صيدناوي " بأن تمنحها له ، اختفت الولاعة قبل أن تقوم مدام صيدناوي عن ترابيزة القمار .. وإذا ما شاهدت ولاعتها يستخدمها جلالة الملك في ليلة تالية ، أقنعت نفسها بأنها ولاعة ماسية أخرى غير ولاعتها التي صنعت لها خصيصاً ..

" فاروق " عندما كان عمره خمسة عشر عاما" .. مات والده .. لم يكن قد استكمل تعليمه ، كان أهل القصر وأمه وجملة من المستفيدين يخشون بأن يقفز " محمد على " ابن " توفيق " على عرش مصر . ولكن الإنجليز كانوا يطمئنون لـ " فاروق " عن " محمد على " ابن " توفيق ".

الذين راضوه بأن جعلوه ولياً للعهد ، وأن يخلف " فاروق " في حكم مصر " إذا ما رحل دون أن ينجب ولداً . " فاروق " لم يكن إنجليزياً كما أراد " الإنجليز " . كان تأثير تربية والده قد امتد إليه ، ولكن ليس بالطبقة الإيطالية العليا التي تأثر بها " فؤاد " ، بل بالطبقة الأدنى التي تسللت إلى قصره في صورة خدم وحشم وعشيقات

وقيل أن البيت الملكي في " لندن " هو الذي كان يرعى " فاروق " . ولكن الظن أن البيت المالك كان يفتح قصوره وحدائقه لأن يرتادها أبناء الملوك ، وقد يستقبلوا في حفلات القصر كضيوف لهم مكانتهم . لكن لم يثبت بأن القصر الملكي في " لندن " كان قد وضع منهجاً لتعليم هؤلاء الملوك شيئاً نافعاً لهم ..

الإنجليز لديهم كثير من المستعمرات .. وكثير من الذين سيرثون الحكم تحت النفوذ الإنجليزي . وكل حالة تحتاج لمنهج خاص ، فما ينفع لمصر قد لا ينفع لمكان آخر.

ومع أن " عزيز المصري وأحمد حسنين باشا " كانا يرعيان " فاروق " في لندن . إلا أن " فاروق " المدلل لم يستفد من الشيخين .. " أحمد حسنين باشا " سيكون للملكة " نازلي " بمثابة الصديق العزيز ، خاصة بعد وفاة زوجها الملك " فؤاد " "المتشدد" . والذي كان يكبرها .. و" عزيز المصري " سيكون الأب الروحي للعديد من الضباط الوطنيين في " مصر " . إذ كان لهذا الرجل دوراً في قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م .

عندما تولى " فاروق " عرش مصر عام ١٩٣٦م ، تركزت عليه آمال الجماهير ، وقد قوبل بعاصفة من التقدير والحب سفحتها الجماهير المصرية له . وكأن الأغلبية الفقيرة التي تزيد عن ٩٠٪ علقت في رقبته آمالها وخلاصها . مما أربك كافة الحسابات الإنجليزية والذواتية وحتى حسابات الأعيان الوطنين من " باشاوات الفلاحين وبكواتهم " . كانت معاهدة حزب الوفد مع بريطانيا والتي أطلق عليها معاهدة الزواج الكاثوليكي بين مصر وإنجلترا . والتي بات مفعولها سارياً منذ ٣١ يوليو عام ١٩٣٧م ، قد جعلت الإنجليز يختفون من المدن ويستقرون في معسكراتهم على خط قناة السويس . وأمن البلاد من الداخل أصبح فى يد جهاز الشرطة المصرية . وبدأت " مصر " فى تكوين جيش خاص بها طبقاً للمعاهدة . ترعاه وتدربه بعثة عسكرية بريطانية بأن لا يزيد عن ثمانية عشر ألف جندى . لذا فقد انفتح المجال لقبول دفعات من الضباط الجدد . وتم التغاضى عن الشروط القديمة بأن يكون الضابط من أبناء الذوات ، وحتى أبناء الأعيان كانوا محل شكوك ، فالثورة العرابية لم تكن قد أزيلت نهائياً من الأذهان . ومن قام بتفجيرها

هـو الوجـه العـسكرى مـن الأعيـان . تلاميـذ الأفغـانى . والـذى مثلـهم عرابـى . وفـى الجانـب الآخر كـان الوجـه المـدنى الـذى مثلـه " محمـد عبـده " ، وفيما بعـد " سـعد زغلـول " ورفاقـه .. مـع الفـارق - وقـد تم قبـول أبنـاء الأفندية وميسورى الحـال كضباط . لذا سـوف يقـع علـى كاهلهم العمـل الـشاق مع جندهم فـى كـل مكـان مـن " مـصر " . ولـن يكـون الـضابط بـداخل المـدن " يتقمـع " ويتمتع بتلك المظهرية والمزايا دون مشاقها .

حاول البعض إضفاء روح الإسلام . علـى تتـويج " فاروق " . إذ اقترح بأن يقوم الأزهر علـى تنصيب الملـك " فـاروق " كخليفـة للمـسلمين . ليبتعـدوا بـه عـن قبـة البرلمان التى ستجعل من " فاروق " ملكاً دستورياً يحكـم ولا يملـك . وكـان " علـى مـاهر " و " أحمـد حـسنين " و " الـشيخ المراغـى " علـى درايـة بنفـسية الملـك الراحـل " فؤاد " ، فرغبوا بأن يتم تتويج الملك الجديد فى القلعة . لإعادة تذكير النـاس بعظمـة جـدوده . إذ انتـوى الجميـع بأن يجعلوا من " فـاروق " " الملـك الـصالح " . فـى حـين أن الملك فاروق الذى تربـى خـارج الـبلاد وداخلـها علـى التدليل . لم يكن له دراية بتلك الاتجاهـات . وقـد فرضـوا

عليه بأن يظهر كملك صالح متدين . كل صلاة جمعة يؤديها فى مسجد من مساجد " مصر " ويظهر أمام الرعية فى دور المؤمن الزاهد . فكان " فاروق " الشاب مطيعاً . ويذهب إلى الصلاة يؤدى حركاتها وفى يده مسبحة . وقد يؤدى تلك الحركات وهو بعيد كل البعد عما يجرى حوله . . دون الاستغراق فى حالة الإيمان . بل كان يذهب أحياناً للصلاة بدون وضوء . يقول لمن يصحبه : هيا بنا فأنا استحممت صباحاً !!

وعندما تجرأ وأقال حكومة " الوفد ".. هنأه رؤساء الأقليات واحتفوا به . بات يشعر بأنها لعبة من ألعابه . وربما تذكر وصايا والده ، فأعاد الكرة مرة ومرات ، واعتاد عليها . وكان يكره " مصطفى النحاس " ، ولكن خاله " شريف صبرى " وأمه الملكة " نازلى " كانا يحاولان إفهامه بأن " النحاس " هو رئيس حزب الأغلبية ، وأنه لن يخسر شيئاً لو أنه استقبله بترحاب ، وأنه لابد وأن يتعايش مع القوى التى تحيطه لتثبيت عرشه ، وأفهموه بأن " مصطفى النحاس " رجل مخلص يؤمن بوجود ملك دستورى ، أما بقية الأحزاب فإنها تعمل على الإطاحة بالملك . كالإخوان . والشيوعيين . ومصر الفتاة .

وحتى الأحزاب الرأسمالية الصغيرة تريد نقل " أمريكا " إلى " مصر " . وليس لأمريكا ملك .

هنا بات " فاروق " يلين أمام " النحاس باشا " ويرحب به على مضض . وذلك المضض هو الذي جعل الإنجليز يفرضون عليه حكومة " النحاس باشا " عندما تأزمت الأمور في الصحراء الغربية بين قوات " روميل " و " مونتجمري " . ولم يعد أحد يعرف من سيكون المنتصر. والشعب المصري أخذ يهتف في الشوارع " تقدم يا "روميل" . أهلا بالحاج " هتلر " !! " ، فكانت أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢م . لقد رفض " فاروق " طلب الإنجليز عندما قالوا بأنهم يطمئنون في الوقت الحالي لـ "النحاس باشا " و " الوفد " . فإذا بالسفير الإنجليزي يأمر القوات الإنجليزية بحصار القصر الملكي وتهديده بالمدافع والدبابات حتى أرغم " الملك " على التوقيع لـ " النحاس باشا " ، الذي كان يخشى في حالة هزيمة الإنجليز بالصحراء أن يغرقوا الدلتا بماء البحر والنيل عندما يدمرون القناطر الخيرية والسدود التي تحجز الماء عن الأرض الزراعية لإعاقة تقدم الألمان خلفهم!

كان الوضع الداخلي في مصر مرتبكاً ، بل شديد الارتباك مما حدا بـ " النحاس باشا " أن يأتي إلى الحكم على أسنة الرماح الإنجليزية . فإن تكاتف أحزاب الأقلية ضد حزب الوفد كان يعطل تنفيذ برامجه . ومن يحسب فترة حكم حزب الأغلبية من الفترة الزمنية ٢٣-١٩٥٢م سيجد أنها فترة قصيرة تلك التي حكم فيها . بينما حزب الشعب " صدقي " حكم أضعاف هذه الفترة ، كان يأتي إلى الحكم لتنفيذ اليد الحديدية بتزوير الانتخابات أو بالتعامل مع عمد البلاد وليس مع شعوبهم . والمظهر قد ينم عن الجوهر ، فمنذ ٣ ديسمبر ١٩٣٧ حتى ٤ فبراير ١٩٤٢م . سوف تحكم " مصر " سبع حكومات فيما يقل عن خمسة أعوام .. كان أبرز الحكومات السبع ، حكومة محمد محمود ، حكومة حسين سري ، حكومة حسن صبري ، وحكومة صدقي . فقد كان موقف الإنجليز صعب للغاية . فقبلوا من يطمئنون له . ولم يجدوا أمامهم من الصادقين في وعودهم إلا " النحاس باشا " . و " النحاس " كان شخصية عقلانية يثق الإنجليز بأنه يريد أن ينفذ " مناهج " حزبه ، دون أن يبدل ذلك إلى مفاجآت غير محسوبة . وهو الوحيد الذي باستطاعته أن يشكل " وزارة

قومية " في ذلك الوقت الحاسم .. بل إن قبول النحاس باشا لتلك الوزارة " الوصمة " كان تحت تأثير إلحاح من الملكة " نازلي " و " أحمد حسنين " و " عزيز المصري " و باشاوات آخرين كانوا يأملون خيراً في " فاروق " . وهم في الواقع يدفعون " النحاس " لحماية " فاروق " من نفسه . وأن يبعده عن الإجراءات العنيفة التي يمكن أن يقوم بها الإنجليز ضده .. وكل شئ يهون في " مهرسة الحرب " . والسفير البريطاني كان في حفلة عشاء .. قال قبل أن يشرب كأسه الفاتح للشهية لمن حوله :

- اسمحوا لي بأن أذهب لأخلع الملك " فاروق " وألحق بالعشاء معكم ؟!.

لكن عددا من الحضور ولهم حيثياتهم أحاطوا به وقالوا له " اعط لـ " فاروق " فرصة لبناء شعبيته لعلكم تحتاجون له فيما بعد ويكون لكم ظهيراً " ..

تحققت النبوءة .. فإذا ما أعلنت هزيمة دول المحور " إيطاليا التي يهواها والده والتي سيختارها كمنفى له عند عزله " .. و " ألمانيا التي رأى بأن يلعب عليها ليخفف قبضة الإنجليز عن رقبته ، فقد آثر الملك "

فـاروق " أن يهـرول نحـو الإنجليـز ليربـط خيوطـه في أصابعهم ليحركوه كما يشاؤون !!

لقد أحبطت كافة مطامح الملك " فـاروق " الـتي زرعهـا الـبعض في نفسه وألهـوه بهـا ، بـأن يكـون " خليفـة للمسلمين " وقد سقطت الخلافة في تركيا ، وهنا من يرى حاجة المسلمين الملحة لوجود خليفة لهم على الأرض .. أو أن يكـون ملكاً للعـرب ، فـالإنجليز يتـصرفون بالمنطقـة العربية كما يحلو لهم منذ رفعت يد الأتراك عنها .

عندما كان الجميع يأملون خيراً في الملك الشاب " فـاروق " ، كانـت هنـاك قـصة غـرام عاطفيـة بـدأت في جبـال سويـسرا وألمانيـا عـام ١٩٣٧م عنـدما التقـى بـ " صـافيناز ذو الفقـار " . وتوثقـت بينهمـا العلاقـة ، وتبـادلا الإعجاب . تلك القصة قد خبت ، والفتـاة الرقيقـة الوديعـة والـتي صـارت الملكـة " فريـدة " ، أمـام استهتار الملـك " فاروق " وما تكشف لها من شخصيته المركبة . تحولت إلى تصلب وقوة وغيرة . كانت قد أنجبت له ثلاث بنـات ، في كـل حمـل جديـد كانـت تتمنـى أن تأتيـه بالولـد ، لكنهـا مـشيئة الله ، ودب النفـور بينهمـا ، والملكـة الأم " نـازلي " لعبت دوراً في تفاقم النفور بين ابنها وزوجته . " فريـدة "التي

لم تكن تتهاون في حق من حقوقها كزوجة . وحدث بينها وبين الملك .. فراق طويل قبل الوصول معاً إلى نقطة الطلاق . وحاول " فاروق " أن يحصل على فتوى من الشيخ " المراغي " بأن زوجة الملك السابقة لا تتزوج بعده ، لكن الشيخ " المراغي " رد عليه بأن النبي نبي وله اتصال بالسماء ، لكن الملك ملك واتصاله بالأرض . ولا يصح سحب ما للنبي على الملك ، وما للسماء على ما للأرض .. وفشل " فاروق " في إذلال " صافيناز ذو الفقار" بعد تحريرها من قبضته !

وبذلك حدث لـ "فاروق " كما حدث لوالده .. تزوج من أخرى وأنجب " أحمد فؤاد " من " ناريمان صادق " .. إنه الطفل الملك " فؤاد الثاني " الذي حل محله بعد أن عزله الضباط الأحرار بعد ثلاثة ايام من قيام حركتهم في الجيش ، وقد سيطروا على مبنى الإذاعة والمباني المهمة بالعاصمة ، فإذا بسيول من التأييد تأتيهم من جميع طوائف الشعب ، تنم عن الكبت الهائل وتشوق الناس للانقلاب على الأوضاع المتردية .

وقد غادر " فاروق " مصر " من قصره بـ " رأس التين " بالإسكندرية ، غادر " مصر " في زي أدميرال

بحري . ركب اليخت " المحروسة " الذي شحنه بعدد كبير من الصناديق المغلقة . ووقف " عبد الناصر " بصلابة ضد الآراء التي طالبت باعتقال " فاروق " ومحاسبته على ما جنت يداه من فساد وإفساد . وأن يكون بمثابة رهينة لدى مجلس قيادة الثورة حتى يتم نجاحها ، فالجيش الذي قام بالثورة ، لا يزيد على ثمانية عشر ألفاً ، وهم لا يسيطرون عليه كلية . بينما يوجد على ضفة قناة السويس ثمانين ألف عسكرى إنجليزي يمكن لهم إعادة إحتلال جميع المناطق في مصر خلال يوم بليلة ، لكن " عبد الناصر " كان يدير المسألة بصورة لا تبعث على انزعاج أحد . وبالتالي دفعت بالملايين يؤيدونه . وجعل مصالح الإنجليز وأعوانهم في كفة ، والمرور بحركته في سلام بالكفة الأخرى .

" عبد الناصر " آثر أن يعامل " فاروق " كملك سابق لشعب حضارى . وأنه والد الملك الحالي الطفل "أحمد فؤاد " وأن يكون المظهر هو التكريم والتقدير في وداعه الأخير . وقد أرسل رسالة لـ " محمد نجيب " يطالبه فيها بأن يتم توديع الملك السابق " فاروق " بإطلاق المدفعية و التعظيم . وأن لا تفتش سفينته ، له أن

يصحب معه ما يشاء من مقتنياته وأن يترك " فاروق " للتاريخ .

" فالتاريخ أحياناً يكون أقسى وأمر على الطغاة .. "

وقال الأستاذ " **رأفت شنودة** " :

– لكن لماذا تخلى الإنجليز عن الملك " **فاروق** " ؟

ولماذا كان حادث القصاصين وإطلاق الرصاص على الملك؟

– وماذا عن الحرس الحديدى وتدخل " **فاروق** " الدائم في لعبة حل البرلمان وإسقاط الوزارة تلو الوزارة ؟

– وهل يسأل " **فاروق** " عن " **حريق القاهرة** " ؟

كان الأستاذ " **رأفت شنودة** " يسأل وهو يهم بالانصراف . وكأنه يلقى علينا ما يشغل بالنا .. حتى نلتقي به ثانية . كنا في شوق لأن نستمع إلى المزيد من التحليلات التاريخية التي يلقيها علينا الأستاذ " شنودة " .

لكن الأستاذ " **شنودة** " لم يأتِ في اللقاء التالي . وعلمنا بأن القضية التي اتهم فيها بضرب أفضى إلى موت شقيقه " **صبحي** " حكم فيها عليه بثلاث سنوات . العقوبة القاسية تلك جعلتنا – نحن تلاميذه – نبحث عن مبررها . ولم يعد أحد منا بقادر أن يرتاد المقهى ويجلس على نفس الترابيزة في غياب " شنودة " الذي كان يثري اللقاء ويكون هو عميده .

ما أدهش " عبد الله " - فيما بعد - أن الأستاذ " شنودة " كان يلتقي بنا بوجه المدينة المتحضر .. المتساهل ، وكان له وجه النجع المنياوي الذي تتحكم فيه التقاليد والأعراف الجامدة .. فقد آثر بألا يدفع لنا بخقيقة الوقائع التي حدثت في " المنيا " على أثر وفاة والده . ومحاولة أولاد عمه سلبهم إرثهم . كانت طباع النجوع الحامية قد أدت إلى وقوع معركة ، ينسى فيها المثقف ثقافته ويستخدم كل ما هو متاح لأن يحقق فوزاً .. في تلك المشاجرة قتل شقيقه " صبحي " .. واضطر أن يقتل ابن عمه " ميلاد " .. والحكم الذي صدر ضده كان مخففاً .. وانتظرنا بأن يخرج إلينا قبل مضي عامين ، فنحن نعرف سلوك الأستاذ الحضاري إذا ما رغب في إبرازه .

باتت المقهى في قلب المدينة القديمة تبعث الأسى عند " عبد الله " فآثر الانقطاع .. لم يعد يذهب إلى ذلك القلب إلا للضرورة القصوى .

•••

٧

[دولة النعاج .. ملكها كبش كبير
يرعبه ذئب واحد ...]

***

أحقاً نحن نتزوج الـذين لا نحـبهم ؟! جـاس هـذا الخاطر بذهن " **عبد الله** " عندما وجد نفسه يحب ويعـشق . والمرأة تلعب بفؤاده الذى يتفتح على كثيـر مـن الأزهـار ويختلط عليه الأمر . لا يدرى شيئاً عن حدود الصداقة التـى تنزلق إلى عاطفة جياشة . والذين يعشقهم ويتمناهم لنفسه – إذا ما نظر إليهن على أساس الزواج – وجد حائلاً لم يكن قد وضعه فى الحسبان ، يقوم مقام السد بينه وبين من يتمناها . فالحوائل تتعدد والسدود تتقاطر ، لكن العواطف كماء النهـر تعرف طريقها إلى مصبها . قد تتخطى كافة العوائق ، لكنها فى النهاية تهدأ بعيداً فى الأعماق بدون حركة على السطح .

عندما هدأ .. كان يحاول أن يحدد موقعه من مواقـع اللاتى أعجب بهن ، ففى الجامعة تعرف بإثنتين . " سـلوى " المتحررة إبنة العائلة التى تنجذب إلـى الحيـاة الأوربيـة .

والدها تزوج من سيدة ألمانية ، كيفت نفسها على حياة الشرقيين بالإسكندرية . ولكن بعد ظهور ثراء المانيا الغربية – نكاية فى ألمانيا الشرقية – فقد وطدت أم " **سلوى** " أواصر القربى هناك . وتسعى لأن تعود إلى ألمانيا بعائلتها الصغيرة ، أن توجد لزوجها عملاً مرموقاً هناك،لكن،كان يحول دون ذلك أعمال والدها التى ترتبط بالإسكندرية ، وشركة النقل البحرى التى يملك فيها جزءاً كبيراً ..

" **سلوى** " اندفعت إلى صداقة " **عبد الله** " اندفاع الشباب التلقائى . لها تلك الشقرة التى حصلت عليها من أمها فى لون شعرها ولون بشرتها . ولكن تقاطيع وجهها إذا ما أطفأ " **عبد الله** " ذلك التوهج ، فسيحصل على فتاة مصرية لكنتها أجنبية . ولأنها " **تربية أمها** " ووالدها مشغول دائماً ، فلكنتها العربية لم تتخلص من التأريب . إنزعج " **عبد الله** " بأن " **سلوى** " هى التى ترغب وتستطيع أن تعبر عن رغباتها بلا تحرج أو خجل . وخلال رحلة إلى شاطيء البحر الأحمر نظمتها الجامعة ، جعلته يتسلل معها إلى مكان بعيد .. وقد وجدته متلعثماً ففكت له عقدة لسانه . ووجدته شديد الحرج ، فبادرت واحتضنته وقبلته . جرأة " **سلوى** " طوحت " **بعبد الله** " بعيداً .. ولم يعد بقادر على أن يلم أشتات نفسه ويعود إليها . تاهت منه " **سلوى** " .. أو تاه عنها . فهى إذ عادت إلى مزاولة دراستها ، تناست ما حدث

– واندمجت فى الدراسة – وكأن مـا حـدث نقـرة . ومـا تمارسه داخل أسوار الجامعة نقـرة أخـرى . " **عبـد الله** " تمكنت فى نفسه النقرتان بأن اندمجا فى فعل واحد ملتهـب . يأخذه بالحمى والتوتر إذا ما شاهدها . كأنه يريد أن يقول لها " **كيف أمكنك الانقسام إلى " سلوتين "** " . إحـداهما عابثـة كغانية محترفة ، والأخرى منصرفة إلى العلم والتحـصيل ؟ .. لم يكن " **عبد الله** " قد توصل إلى فلسفة حياة الأوربيين .

كان لم يزل يتعامل مع " **سلوى** " كشرقى . ولما قام بالفعل الأحمق إذ وجد نفسه معها آخر مـن ينـصرفا مـن " **سكشن** " له عدد طلاب محدود . فقد قابلت فعلـه ببـرود جعله يتجمد فى مكانه . " **سلوى** " سكبت على رأسـه دلـو الماء البارد من خلال كلماتها المقتضبة المتسائلة :

– ألا تدرك بأننا مقدمون على امتحان مهم ؟ ألا تـستطيع أن تفرق بين الأمكنة ؟ أأنت طفل لم تكبر بعد ؟ هل أخطأت بأن أفصحت لك عن رغبتى ؟ هل تظن أن عبث الرحلة قد يربط بيننا إلى الأبد ؟ لماذا لا تستطيع أن تفرق بين حالة وحالـة ؟ من الضرورى أن تتعرف على الأوقات المناسبة لما هو لـك ولى .. باى باى ..

منذ أن توقف " **عبد الله** " مذهولاً فـى مكانـه . لا يستطيع أن يرد على باى باى " **سلوى** " أو يلحق بها ويقنعها بإحساسه نحوها . تاهت " سلوى " منه وتاه منها ...

بينما جميع الطلاب يصفقون لمطرب الحفل ، نصف المشهور . والذى وافق على إحياء الحفل الجامعى للجنة الثقافية . كانت مقدمة الحفل ، هى الشاعرة "**مها الحاجولى**" تحفظ أبيات الشعر لعدد كبير من الشعراء القدامى والمعاصرين . إذا ما وصلت إلى الميكروفون فلابد وأن تشنف الأسماع بأبيات من الشعر . تختار الأبيات التى تلائم المناسبة . والطلاب الذين يتصايحون ويتعابثون إذا ما وقفت " **مها** " أمام الميكروفون صفقوا لها وهتفوا بإسمها . إنها تعرف كيف تتعامل معهم . تتلو أبياتاً من الشعر لـ " **نزار قبانى** " . أبياتاً تختارها بدقة من مُعظم قصائده .. فيهدأ الشباب . ويسود الصمت فيما عدا صوتها الرخيم وهى تتهادى به تارة وتعلو به أخرى . فإذا بالتصفيق يدوى فى القاعة .. كان " **عبد الله** " قد ألقى قصيدة قصيرة فى حفل أقامته اللجنة الثقافية للشعراء ، وقد حضره شاعر مشهور بالإسكندرية . وكانت " **مها الحاجولي** " هي التي تقدم ذلك الحفل .. مضى على الندوة الشعرية ثلاثة شهور .. لم يكن يظن مطلقاً أن قصيدته القصيرة تركت أثراً فى أحد .. وفوجئ " **بمها الحاجولى** " تلقيها مع أبيات من ابداع " **نزار قبانى** " . حشرت قصيدة " **عبد الله** " ، فصفق لها الحضور .. توقفت وأشارت إلى " **عبد الله** " وأعلنت بأن الأبيات الأخيرة من نظمه .

استمرت تشير إليه حتى وقف وتلقى تصفيق الحضور ، وقالت :

- " **عبد الله مرعى** " يستطيع أن يكتب كالشعراء الكبار ، لكنه مقل ..

وسألت الجمهور :

- ما رأيكم بأن نستدعيه إلى الميكوفون ليلقى لكم بالمزيد .

فصفق له الحضور وتصايح الطلاب باسمه على رتم معين .

استمر الرتم فى الترديد حتى صعد " **عبد الله** " إلى الميكروفون ، سلم على " **مها الحاجولى** " وقدم لها الشكر لأنها جعلت اسمه المتواضع بجانب ذلك الشاعر العظيم .

وصفق لها الحضور ثانية .. ثم ساد صمت ليسمعوا مقاطعا من قصيدته الجديدة .. قابلوها بالتحية . وعاد وسلم على " **مها الحاجولى** " وهو يغادر المسرح ..

ما حدث كان بداية لتوثيق الصلة بتلك الفتاة المثقفة . وكانا بالعام الأخير بكلية الآداب ، وتعددت بينهما اللقاءات . " **عبد الله** " يدرس التاريخ . و " **مها** " تدرس اللغة العربية . ومع ذلك فقد كانا يتوسلان بأتفه الأسباب ليمضيا بعض الوقت معاً .

والد " **مها** " كان يعمل بالخليج ، وكان يصحب معه أسرته . " **مها** " أمضت سنوات طفولتها وصباها فى مدينة " **جدة** " حيث يتميز مجتمعها بالتنوع العربى . دراستها

الثانوية حصلت عليها بالإسكندرية فـي كنـف عمهـا مـع زيارات خاطفة من والديها إلى الإسكندرية ، أو تقـوم هـي بزيارتهما فى المملكة العربية السعودية .

" **مها الحاجولى** " مع جرأتها أمـام الميكروفـون . تكون شديدة التوتر والارتباك إذا ما ضاقت المـسافة بينهـا وبين أحد الشباب . وخاصة " **عبد الله** " الذى أعجب بها وبدا أنها هى الأخـرى أعجبـت بـه دون أن تفـصح . " **مهـا الحاجولى** " لها عيون المها .. شديدة البياض شديدة السواد . ولها تلك السمرة الخفيفة التى إذا مـا اجتاحتهـا التـوترات توردت . لها ذلك العود السمهرى والصدر الليمونى والرقبـة الطويلة المتسقة مع بيضاوية الوجـه ورهافـة التقـاطيع . أسمعته أولى محاولاتها الشعرية ، قصيدة تناجى فيها الليـل والقمر والنجوم . وتجعل منهة رسلاً لما يعتمل فى فؤادها من أشابيب العواطف النبيلة . لكن المفاجأة أنهـا تبـدأ الأبيـات بحروف معينة إذا ما تجمعت الحروف .. كونت إسم " **عبـد الله مرعى** " ..

" **عبد الله** " إذا ما وصلته رسالة " **مها** " .. كتب فيها قصيدة جديدة . وتوالت القصائد ، هى تكتب وهـو يكتـب . حتى تكونت لهما مجموعة من القصائد .. أقترح عليها بـأن يشتركا معاً فى إصدار ديوان واحد . لكن صاحب المطبعـة

أقنعهما – لأسباب تختص بعامل الربح المجرد – بأن يطبع لكل منهما ديواناً خاصاً به . وغالى فى الثمن ..

وافقت " **مها الحاجولى** " على الثمن .. ولكن " **عبد الله** " طلب تأجيل طبع ديوانه حتى يتم استقبال ديوان " **مها** " . " **عبد الله** " هو الذى قام بالإشراف على إصدار ديوان " **مها** " وتوزيعه والاحتفاء به ..

" **عبد الله** " كان يتصدى للنقاد الواقعيين الذين يهبطون بكل ما يطير فى الهواء ليمشي على الأرض . وبعض المنافقين الذين يعرفون مقدرة " **مها الحاجولى** " المالية ، كانوا يصنعون منها شمس من شموس الشعر الرومانتيكى ، غالى أحدهم في الاحتفال بها حتى صدقت " **مها** " نفسها بأنها شاعرة كبيرة وعظيمة ..

ذلك جعلها تميل إلى رفقة ذلك الناقد الذى ساعدها فى نشر بعض قصائدها فى مجلة متواضعة . هو ناقد ينشر متابعاته بها . وبنفاقه وتذلله اجتاز " الناقد " تمهيدى الماجيستير ليجمع رسالته .. وقد وثق علاقته بـ " **مها** " فهو إذا ما وصل إلى ما يبتغيه ، سيكون " **خادمها الوفى** " .. ذلك المعيد أمكنه أن يحيط " **مها** " بداخل صوبته ، وإذا ما فرغ طلاب العام النهائى من امتحانهم الأخير تفرقوا ..

" **عبد الله** " إذا ما استعاد مسودات ديوانه من المطبعة لإعادة النظر فيما سطره من قصائد . كانت أشياء

كثيرة قد تبدلت فى وعيه وفى فؤاده .. فوجد أن ما كان سينشره لا يخص أحد ولا حتى صاحبه .. طوى الأوراق وحفظها ضمن المتروكات . وهو فى الحقيقة كان يطوى صفحة مع " **مها الحاجولى** " .. وإلى الأبد .

***

الزواج " قرار " ، الحب يداهم الإنسان بدون دعوة وبدون قرار .. الحب ليس له قرار ، الزواج قرار غير شخصى ، فى الزواج يشترك عدد كبير فى الوصول إلى القرار النهائى ، ناهيك عن الظروف التى تبدل الأحوال ، قد يكون المشاركون فى اتخاذ قرار الزواج من الأهمية أن تتغلف رغباتهم بالضرورة .

كان الأسطى " **مرعى** " قد رشح لولده " **عبد الله** " بنت ابن عمته . البنت الثانية واسمها " **عنايات** " . والد " **عبد الله** " رآها جميلة وست الستات ، بل رآها أجمل من أمها " **وديدة** " التى كان يحسد ابن عمته لإقترانه بها .

لكنه كان قد اقترن بأم " عبد الله " وأنجب "عبد الله " تميزت أم " **عبد الله** " عن " **وديدة** "-التى أعجب بها-عندما أنجبت لابن عمته ثلاث بنات حتى أنجبت له الولد . الولد بالنسبة لمن هم بقايا قبائل عربية بدوية سكنت الصعيد مهما رحلوا إلى المدن " **البحرية** " يعتبر أمنية غالية لكل من رغب فى الزواج . وكأن من يرغب فى الزواج من أهل

الجنوب يتزوج من أجل إنجاب الولد الــذى ســيحمل اســمه ويخلد سلساله .

أبو " **عبد الله** " قال لإبنه عن " **عنايات** " :

– دى يا ابنى أخذت من أبيها الطول والعــرض واحمــرار الوجه . وأخذت من أمهــا البيــاض وسمــسمة التقــاطيع . وشعرها الخيلى أطول من شعر أمها فى عز شــبابها . لمــا كانت تفرده على ظهرها والهوا يلعــب بيــه .. فرســة يــا " **عبد الله** " . والله فرسة ..

" **عبد الله** " كان يعرف بأن " **عنايات** " حصلت على بكالوريوس التجارة ، وعينت محاسبة فى أحد البنــوك ولابــد وأن أمثالها قد حددن مواصفات من ترغبن فيه . وبتجربته لا يوجد فتاة اجتازت هذه المراحل دون الارتبــاط " وجــدانياً" بشخص ما ، وأنه لن يقبل أن يهبط على أرضها ، كما هــبط الانجليز على بور سعيد بالمظلات ، فقد أمكــن هــزيمتهم ، عندما حلوا كمغتصبين،مع أنهم كانوا فى هذه الأمكنــة منــذ وقت قريب ، فما حاله،وهو الذى لم يكن على معرفــة ببنــت عمه وأمها السيدة " **وديدة** " التى يحشر والده اسمها دائماً إذا تكلم عن صنف السيدات الجميلات .

" **عبد الله** " لم يكن قد شاهد السيدة " **وديدة** " فى عز شبابها . ولم يكن ذوقه من ذوق والده حتى يعــشق الــشعر الخيلى الطويل المفرود الذى يجعل من المرأة فرسة .

" **عبد الله** " ابن مرحلتــه ، **وثورة يوليو تمر بأيام ربيعها المنشود بعد اصدار القرارات الاشتراكية ووصول مكاسبها للطبقة العريضة من العمال والفلاحين ، في ذلك الوقت حدث الاندماج الشديد بين فصائل الأمة . واختفت كثير من الشقاقات والنواقص تحت وهج المرحلة واندفاعاتها . البيوتات الكبرى ومن كانوا يطلقون عليهم أشباه الاقطاع وعملاء الاستعمار ، استظلوا بمكانهم الدافيء في التحالف . باتوا رأسمالية وطنية تأمل الأمة في جهودهم . و " الإخوان المسلمين " بجهازهم المسلح السرى قد انفض . فلم يعد هناك من يعمل على الفصل بين المسيحى والمسلم بتلك التراهات**

والمرحلة تتميز فيها " **المرأة العاملة** " بمكانتها . الأثواب تهرب إلى فوق وتترك مساحة من السيقان عارية ، لكن الشباب يترفع وينظر إلى ما يكسوه الثوب ، وكأن اللغة فى ذلك العصر كانت لغة العيون وتقاطيع الوجوه . وباقى الجسم رهين الاتفاق الصريح .. المرأة العاملة تمتاز بالشعر القصير . وشكل البنت كشكل الصبى وهى فى البنطلون والبلوز وسرعة الحركة واجتياز الاختبارات بنجاح . وحتى عندما ألح الأسطى " **مرعى** " على ابنه ليشاهد " **عنايات** " . فقد رآها " **عبد الله** " بعكس رؤية والده لها .

رآها كضلفة الباب ، أكتافها عريضة ومقعدتها هائلة ، وشعرها غزير وتفتقد إلى رقة الأنوثة . وذلـك الـضعف الذى يمنحها القوة الهائلة مع السحر .

مال عليه والده المنبهر . وسأله فى أذنه :

– ألم أقل لك إنها فرسة ؟!

لم يستطع " عبد الله " إلا أن يقول :

– يا أبى .. أرجوك .. أنا لا أعيش فى الصحراء حتى أتمنى اقتناء فرسة !

٨

" المسبحة ليست من الأوراد . لكننا نتلو على حياتها الورد والأذكار . كالمسجد الذى لا يكتسب وقاره إلا بمن يصلى فيه . أما الذين يقدسون المسابح القديمة والمساجد المهجورة ، فهم أناس طيبون للغاية ويمكن شلحهم من ثرواتهم بكل سهولة .. وعلى ذلك يتأسس إحتلال دولة لأخرى .. "

***

مدينة " عبد الله " مفتوحة الذراعين . تأخذ بالأحضان كل من وطأت قدمه موانيها . مدينة سمهرية تتمدد على شاطيء البحر . تعرض بدنها للشمس والماء والهواء وكأنها فى أجازة دائمة من العمل ، وكأنها خلقت لتستروح . لا لتعمل وتكد وتشقى . اعتادت على أن تعامل الوافدين إليها من خارج البلاد . ومن عمق البلاد . معاملة لا تمييز فيها لأحد عن أحد . إنها لا تمنح قلبها لأحد إلا لمن يبرز الهدية القيمة التى أحضرها لها .. مالٍ أو نشاط أو إبتكارات أو حتى فهلوة ، وخفة الدم ، **إيضاً** خفة اليد تغريها .. فالغانية لا تسأل عشاقها إلا سؤال وحيد : ماذا معك لى ؟ !

إذا ما تلكأ الوافد . ارتبك ارتباك خـــالى الوفـــاض . ألقت عليه بتلك الزغرة التى تشيله وتهبده . وبعدها تتجاهله ، وكأنه لم يخلق مطلقاً .. وإذا ما حـــاول أن يلفـــت نظرهـــا لوجوده . عاملته بخشونة . أزاحته بيدها القوية إلى بعيـــد ، صائحة فى وجهه :

– وسع يا خويا كده خلينا نشوف أكل عيشنا !

•••

الوافد من الداخل تعلم كيف يتعامـــل مـــع المدينـــة المتفرنجة . وأن لا يضعها فى إعتباره كزوجة ستلازمه فـــى السراء والضراء . بات هو الآخر يعاملها كعشيقة لا يقتـــرب منها إلا عن وسع . وحتى لا يعرض نفسه لانقلاباتها التى لا تختلف كثيراً عن نواتها المطيرة الباردة . التى بـــات يحفـــظ مواعيدها منذ توقف تنفسها بالأفرنجى ، ومنـــذ أن راحـــت الغانية تتصفح ألبوم ذكرياتها مع الذين تسكندروا .. وكانـــت رطانتهم تملأ أرجائها . وكانوا من أجلها يطبعون مـــا يقـــرب من تسعين مطبوعاً شهرياً . مجلات وكتب وصـــحف تمـــلأ أعطافها غزلاً مـــن العاشـــقين وتـــشوقاً للمطـــرودين مـــن فردوسها.

هؤلاء الذين كانوا يصحبونها إلى حفـــلات نـــواديهم يراقصونها فى الأضواء الخافتة ببـــاراتهم وكازينوهـــاتهم ، ومنهم من يصحبها إلى المقاهي الصاخبة والهادئـــة لتلعـــب

الطاولة والدومينو والورق . أو لتقف لتدور حول ترابيـزات البلياردو . تميل وتعتدل وتشغل نفسها بالعصا والأستيكة .

الوافد من العمق . فرض عليها طباعه . بأن جـاء إليها ووقف بعيداً عن حالة الاندماج . جعلها تشاهد تعففـه . بأنه يستطيع أن يعيش عمره فى دائـرة بـصرها ، ولكنـه سيتمالك نفسه فلا ينداح فيها ولا يذوب ، وأبو حميد الأصيل ، ظل لفترة طويلة يرتدى ذلك السروال ذى الحجر الواسـع الذى يتيح له الخطوة غير القصيرة . فتسمى " **أبو خطوة** " . " **أبو ستة ، المعداوى ، أبو كبير ، أبو البل** " .. وجعـل من البحر مجال رزقه . فدانت له المعـشوقة ، تقـف علـى الشاطيء تنتظر عودته ليمنحها طعامها اليومى . يضع علـى رأسه برنيطة قماش أبيض . لا هى أوربية ولا هى مـصرية صميمة . وتعلم " أبو حميد " كيف يأتى بالألاعيب التى تلفت نظرها . يجعلها تضحك فى عبها وتتسمر هناك ، مـشدودة إلى قربه . تسمع منه صيغة الجمع فى كلامـه . وكأنـه لا يعيش ويهتم إلا بالجماعة معاً .. وإذا ما تم الصلح بينه وبين شبابها تمنته زوجاً وليفاً .. يبنى لها تلك البيوت العثمانيـة الواطئة والتى تطل على أزقة رفيعة متعرجة تصعد وتنزل ، فأفقدت رجلها تلك الحالة " **القاهرية** " لتنفرد بـه لنفـسها ، تسطر له حياة خاصة نسيمها من هـواء البحـر المعتـدل ، وطباعها من هدير الموج الذي يعلو ويحط في نفسه. بعيـداً

عن الحارة المغلقة . حاراتها وسائل تفضي إلى الميادين فــلا يتبق لرفيقها إلا تلك الميادين ، البياصات .. وذلك الكورنيش . ليتنفس بمقاهيها وكازينوهاتها .. ويترك كل شــيء لمــن يستضيفهم سنوياً لعدة شهور . بات أبو حميد يطمئن بأن فــي امرأته نخوة تجعلها تستضيف الغرباء دون أن يتركوا علــى جسدها أثراً تخجل منه أمام حبيبها الــذى اختارتــه بمــلء حريتها .

المدينة الإفرنجية الملاوعة .. والتى اكتسبت مناعــة ضد السقوط " **ماذا تبقى منها ؟!** " . والعصافير التى كانــت تعزف سيمفونيتها أمام جملة الأشجار التى تحجــب وراءهــا مبنى الكنيسة المرقصية قد أزيلت . واختفى بــاب الكنيــسة المرقصية أمام صفوف الــدكاكين وحركــة التجــارة علــى الأرصفة . وتلك الموجة من التغيير التــى أصــابت وجــه المدينة بنوع من الكرمــشات والترهــل . لعلهــا الغــارات الألمانية التى قصدت الانجليز وهم يختبئون فــى أعطــاف المدينة ويصوبون مدافعهم وكشافاتهم إلى السماء . أو لعلهــا تلك الهجرات التى فرضت عليها . إما بالنزح منها وقد بــات النازحون جزء لا ينفصل . أو بالنزوح إليهــا . وللنــازحين طباع تختلف كثيرا أو قليلا عن طباع المدينة المتفرنجة .

وجاء وقت كانت المدينة فى غاية الثراء . لكنه ثراء مدفوع الثمن ، عندما كانت البورصة بميــدان " **المنــشية** "

يسمع ضجيج السماسرة بها وهم يتزايدون ، على مسافة بعيدة . وإذا ما تفرق من البورصة " **التجار والسماسرة** " عجت بهم المطاعم والمقاهى وكازينوهات الشاطيء . وبارات السكة الجديدة . وشارع فرنسا الذى كان يفضى إلى الحديقة الفرنسية . وأحد أضلاعها يقع على طول حصان " **محمد على** " من جهته الشمالية . لتمتد الحديقة إلى تلك الأعمدة التى تمثل نصف دائرة تحتضن تمثالاً للخديو " **إسماعيل** " . كان يقف فى اعتداد ناظراً إلى الميناء الشرقية ، وقلعة قايتباى ، متكئاً على سيفه فى غمده يرتدى بذة الخديوية المواشاة بالقصب ومرصعة بالنياشين .. الخديوي " **إسماعيل** " سوف يعزل مرة أخرى من طرف الحديقة الفرنسية الشمالى من نصف الدائرة المهداة له من الجالية الإيطالية . يسقطون تمثاله من مكانه بدون مبرر قوى ويلقى مهملاً لفترة . ثم ينصب كحارس للمسرح الرومانى الصغير الذى تم اكتشافه خلف مبنى المطافئ .. بكوم الدكة .

لقد باتت أشياء كثيرة كانت من مباهج المدينة المتفرنجة . باتت مهجورة ليس لها معنى . فبعد عام ١٩٦١م ، وعقب صدور القرارات الناصرية بتأميم المصانع والشركات – والاشتراكيون كانوا قد انتزعوا من أماكنهم ليتم اعتقالهم فى الواحات – أرسى " عبد الناصر " قواعد الاشتراكية بدونهم . وسلمها لمن يكرهونه ويكرهونها . لذا

فقد تم حرق البورصة . وإزالة شرفتها التـــى كـــان " **عبـــد الناصر**" يلقى من فوقها بالقرارات المصيرية .. قرار رقم كذا . تأميم الشركة البحرية لقناة السويس شركة مساهمة مصرية. .. لم يزل صوت " عبد الناصر يدوى فى الأسماع ..

لا غرو أن تزال البورصة ويصبح مكانهـــا موقفـــاً للسيارات . سيارات الطبقة الجديدة التى أتـــاح لهـــا " **عبـــد الناصر** " الثراء والنفوذ ، وقد عادت " **الطيور المهـــاجرة** " ليستردوا ما يمكن استرداده . فوق أرض البورصـــة التـــى أزيلت . يركنون سياراتهم لقضاء شئونهم بالمدينة . والميدان الذى يعرف الآن بالعديد من الأسماء – وكل اسم يعبر عـــن مرحلة . ميدان القناصل . أيام الجاليات. ميدان "**محمد على** " . أيام الفترة الليبرالية " **٢٣ – ١٩٥٢ م**" . ميدان " **المنشية** " أثناء حركة الجيش وحتى حرب ١٩٥٦ م – التى منحـــت " **عبد الناصر** " دور البطولة .. " **ميدان عرابى** " منذ شـــبت " **حركة الجيش** " عن الطوق وصارت " **ثورة** " يكون مـــن أهدافها " **الوحدة العربية** " ..

•••

كان ميدان " **المنشية** " مزداناً بالأشجار وأحـــواض الزهور . وتمثال " **محمد على** " الذى يشارك " **عبد الناصر** " فى الأحداث الكبرى . إذا مـــا ضـــرب " **عبـــد الناصـــر** " بالرصاص وهو يلقى خطابه من شرفة البورصة . التفـــت "

محمد على " نحوه حتى اطمأن إلى نجاته وعاد بوجهه كما كان !

إذا ما ألقى " عبد الناصر " بقرار تأميم قناة السويس وعودتها إلى المصريين . كان إيرادها السنوى فى ذلك الوقت لا يقل عن " **خمسة وثلاثين مليون جنيه استرلينى** " . بينما القرض من البنك الدولى الذى طلبته " **مصر** " لبناء السد العالى ورفض،كان لا يزيد عن مائة مليون دولار أمريكى ، فقد حمحم حصان " **محمد على** " نتيجة لحركة اللجام . وكاد الحصان يقفز به لينزل إلى الميدان ويرقص على التصفيق الحاد الذى تعالى مع التهليل والتكبير من الألوف التى تستمع للزعيم فى عيد المدينة . لكن " **محمد على** " كان قد تجمد على حصانه أثناء العدوان الثلاثى . وبات يخشى على " **عبد الناصر** " أن يهزموه ويسقونه المر والحنظل . فهو صاحب تجربة مع الغرب .يؤلبونه على السلطان التركى ثم يتخلون عنه ويعاقبونه . ولم يدرك بأنهم يلعبونها لصالحهم إلا بعد فوات الأوان . فقد أضعفوا الدولة العثمانية به .. واضعفوه بالدولة " **العثمانية** " ثم آل لهم كل شيء . بلاد العرب التى احتلها الانجليز والفرنسيون . سوريا الكبرى يتم تمزيقها إلى سوريا . ولبنان والأردن وفلسطين . حتى العراق كان تحت نفوذ الانجليز .. " **محمد على** " لو

كان يدرك شيئاً من تخطيطهم . . لتبدلت فى تلــك الرقعــة ، الكثير من الأوضاع .. !

•••

ومع كل ما مر بالمدينة من خطــوب . عنــدما تــم تفريغها من الجالية الانجليزية لتضرب بالقنابــل . وليتــآمر القناصل الأوربيين على المدينــة ، فيخططــون لأن تعمهــا الفوضى إذا ما ألبوا فقراء الجاليات على فقراء المــصريين . وتقاتلوا . فقط لإظهار " عرابى بأنه لا يستطيع حماية المدينة ولكي يتم انزال عساكر الانجليز من أســطول الأدميــرال " **سيمور** " الذى تحاور مع " **عرابى** " بقنابل المدافع . فــى تلك الهجمة البربرية على المدينة . تم تدمير الحى الأوربــي التجارى . ولم يتفادى الإسطول إلا بضع بنايات . الكنيــسة الانجليزية . والبورصة . وتمثال " **محمد علــى** " . وبــضع مبان بنيت على الطراز الرومانى . تحيط بكلــوب " **محمــد على** " – المبنى رقم (١١) بطريق الحريــة المجــاور لنقطــة " **شريف** " . و " **البنك الأهلى** " . وما يجاوره من مبان قــام الانجليز بإعادة إصلاحها لاستخدامها فى إدارة شئون المدينة التى أمست فى حــوزتهم بعــد طــرد " **العــرابيين** " منهــا وهزيمتهم فى التل الكبير .. هناك بعيــداً .. تمكــن الجــيش الجيش الانجليزى من عبور القناة – التى وعد " **دليــسبس** " بعدم استخدامها فى الحرب الدائرة ولكن الخيانة التى حاقت

بـ " **عرابى** " لم تأتيه من الأجانب فقط .. بل أتت إليه مــن أبناء الذوات والخديو " **توفيق** " وأبناء الأعيان وعلى رأسهم " **سلطان باشا** ". بل ومن الباب العالى الذى أعلن عـصيان "**عرابي** " ورفاقه . لقد هال الجميــع أن يحكــم المــصريون أنفسهم بأنفسهم .. فعملوا على هزيمة " عرابى " ، حتى يسلم سيفه وينفى ..

ومع ذلك احتفظت المدينة بروحها الوثابة . بالأحياء الشعبية التى تذوب فيها يوماً ، وتجفل فى أخر . وقد ألمــت بالإسكندرية الملمات . لكنها كانت تتكيف مع الوافد إليها مــن جديد . لذا فقد كان لها جمالها الساحر . فى مبانيها . طريقــة الحياة فيها . زرقة البحر . رزق الموانيء . تلك الصناعات التحويلية . الأمطار التى تغسل وجهها وتعيد إليها نضارتها . النساء الجميلات . والرجال بكرنفال الأزياء .

" يقول داريل فى رسالة موجهة لأحد أصدقائه عــام ١٩٤٤م- وهو روائى عمل فى مكتب الإعــلام البريطــانى بالإسكندرية " .

[نساء الإسكندرية أجمل من نساء " **أثينا وباريس** " . إنهــن امتزاج هائل من القبط واليهــود والــسوريين والمــصريين والمغاربة والأسبان . إنهن نساء ذوات عيون كحيلة لماحــة وبشرة زيتونية منمشة . وأنوف وشفاه حادة . ولهن مــزاج يشبه البركان ..]

" داريل " بحسه الروائى يصف ما أنتجته الجاليات السكندرية نتيجة لاختلاطها وتزاوجها . لكنه – فى المقابل – لم يلتفت إلى " بنت بحرى " . تلك الخلطة القوقازية التركية العربية - المصرية الكردية.أنتجتها البيوت المحافظة المعزولة بشعبيتها وحساسيتها " **الأنفوشى ، السيالة ، كرموز ، غيط العنب** " والامتدادات السكانية نحو " **الحدراء** " . تلك الصخور الرملية التى أزيلت لتقام مكانها البيوت المحافظة .. وما يميز النساء المسلمات والقبطيات الخلص فى تلك الأحياء الشعبية . جرأتهن الشديدة . يعرفن كيف يصونون أنفسهن لأزواجهن .. وقد يمارسن حياتهن بحوار العيون والحواجب . بإلقاء فاصل من الزعيق والسباب حتى تنفك ضائقتهن . والبحر جزء من الجسم الملفوف . له وقت جزره ومده . لكنها لم تكن يوماً لقمة سائغة لشباب الجاليات الأجنبية . إنها لا ترتاد مراقصهم . ولا يمكن لأحد منهم الحصول على واحدة منهن – إلا إذا رطن بلغتها – وعاش فى حيها ، وعقد عليها ، وأشهد الله ورسوله على نكاحها ..

" **داريل** " لم يغادر جاليته ليعيش حياة المصريين فى أحيائهم الشعبية . لذا فهو لم يشاهد إلا نصف المدينة . الجانب الزيتونى منها . أما الجانب الخمرى الأخر ، فقد **كان** كالكنوز المدينة تخفيها عن أعين الغرباء . !

" عبد الله " الذى نشأ فى إسكندرية " **محمد علـــى** " .

كانت له قصة غرام بفتاة سكنت فى إسكندرية " **الإســكندر** " .. فتاة من الأنفوشى " جزيرة فاروس " . كان لهـا طبـاع المدينة القديمة والجديدة معاً .. تلك الطباع التى تتصف بالمد والجزر . بالزيتوفية " التى وصفها داريل وبخمرة الـشرقيات الفاتنات !

الكنز الذى حوفظ عليه،حتى تم تخليص المدينة مـن الذين تسكندروا !!

•••

٩

" البحر إذا ما تبين أنك تركبه للمرة الأولى . سيكون كالفرس الزكى . يلقى بك من فوقــه إلى أعماقه . كمن يركب ذاكرة غيره .. يتوه ثم يغرق ، فالابحار بالسفن القديمة التــى لا تملكها . قد تؤدى – فى الغالب – إلى التهلكة . إذ أنك لا تعرف كيــف تحايلهــا لتجنبهــا خبطات الموج فى الأماكن الهشة! "

•••

المدن ظل للمصانع . والمصانع لا تنمو إلا بعــرق العمال . وخبرة أصحاب العائد . والعامل فى مدينتنا وافــد . وقلوب أصحاب العائد ستكون من نفس حجر قلوب المــدن . لذلك سيظل شعور الوافد على المدينــة بأنــه – غريــب – ومغترب .

وهو شعور قديم متوارث لمن يولدون على حــواف الحقول والترع . إذا ما أرغموا على ترك قراهم أو نجوعهم ، يبقى الاغتراب ملازماً لهم .. خاصة إذا ما شعر بالجوع ، فلا يجد حوله غيطاً يميل عليه ليأكــل شــيئاً مــن ثمــره . وأصحاب الحقول إذا ما ألقيت عليهم السلام . يردون بأفضل

منه وينادون على " **الغريب** " بأن يتفضل ليشرب ماء ويأكل شيئاً من طعام دون مطالبته بالثمن . لكن أصحاب "**المطاعم**" فى المدن إذا ما ألقيت عليهم السلام . ردوا فـى اقتـضاب ، وإذا ما قالوا للغريب – تفضل – يعنون بها أقدا لتشترى شيئاً من بضاعتنا بالأسعار التى حددناها " **للمنافسة** " .

فى الريف يظن الداعى بأن طعامه الذى أكـل منـه الغريب سيزداد بإذن الله . لكن فى المدن الأمـر يختلـف ، فالطعام الذى لا يدفع ثمنه يكون فى حكم المفقود .. والمدينـة لن ترحب بالغريب وتفتح له ذراعيهـا إلا إذا انـضم إلـى أصحاب الحظوظ .. وبات هو الآخر من أصحاب العوائد .. التى يجب أن يعمل على تنميتها بالأرباح .. من عام إلى عام . و " عبد الله " إذا ما تأمل الحال . وجد أن الـذين أسـسوا المدينة وكانوا من أعظم ملوكها ، انحدر بهم الحال . ليمسوا أصحاب دكاكين البقالة .. وباعة الجبن الرومى والمورتاديلا.

لذلك فلابد وأن الغرباء جميعاً سيجمعون أشتاتهم فى اتفاق . أن يتواطأ الغريب مع الغريب ويمنح كل منهما حـق المواطنة السكندرية للآخر . أنت تعترف بى وأنا أعترف بك . وإذا ما أنكرت على هذا الحق .. سأسارع وأسقطه عنك أنا أيضاً !

وبذلك الاتفاق باتت المدينة ، مدينة كل الوافدين . بما يعنى بأنها مدينتهم جميعاً . ولا صاحب لها فى نفس الوقت !

لذلك فإن كل الأكاذيب يمكن تصديقها ومبـــاح بـــأن ينسج منه المؤرخون تاريخاً يثبت أقدام الوافدين ويزيل عنهم الشعور بالاغتراب . حتى لو اتخذها البعض مجـــرد مكـــان للترويح عن النفس ، فهناك الأغلبية التى تتخذها حياة تـــذوب فيها أعمارهم ، وبذلك يمكن أن يتخطى المغتـــرب الـــشعور بالغربة ويصير مثل الذين يولدون على رملها .. ويشبون فى أزقتها . فتكبر معهم الأزقة ، وتتحول إلى شوارع ، تفـــضى إلى ميادين وأنصبة وحدائق ومبان ضخمة ..

إنهم الأطفال . فـــى علاقـــتهم الـــصادقة بـــأمهم . سيبادلونها علاقة خاصة ، تنمو وتتغلغل وتتعمق كلمـــا شـــب الأطفال عن الطوق .. والأطفال سيتفننون فى تبادل العـــشق مع المكان .. بدون حساسية أو . بدون الاحساس بالدونية . وبدون تلك الفروق التى تفضل بين هذا وذاك !

وتجربة " **عبد الله** " الشخصية أكدت له بـــأن أهلـــه "**الجنوبيين**" لم يقع أحدهم فى عشق المدينة . والده – توفـــاه الله – وهو فى حالة خصام معها . إذا ما تناولها ، قال عنهـــا – القحبة – مدينة الخواجات – مدينة الأشتات .. .. لـــم يـــر بأنها منحته منزلاً . ووظيفة فى أحد مصانعها ، وجعلته مـــن أعمدة حى من أحيائها ، ثم أعطته ثـــلاثة صـــبيان . جعلتـــه يطلق على زوجته " رئيفة " " أم الرجال.

•••

الأسطى " **مرعى** " عاش ومات يحلم بأن يبنى بيتـاً كبيراً على طرف النجع بجزيرة " **شندويل** " . يقع باب البيت ونوافذه على المزارع والنخيل والسوهاجية التى تفيض فى " الدميرة .. فتأتى بالجيضي !

والمدينة غفلت عن أن ترضيه . تقدم له شـيئاً مـن حنانها وجمالها وسحرها . ذلك السحر الذى تقدمه لمن يأتون إليها عبر البحر .. **الأسطى** " مرعى " لخمسين عاماً . كـان يسير فى طريق واحد . يذهب فيه من مـسكنه إلـى عملـه ويعود منه . يكاد يحفر لنفسه مجرى ، كما تفعـل الروافـد النهرية ، ومع ثوابت عاداته – لم يتخل عن لهجته الصعيدية .. هو الذى نقش اسمه وبلدته على عضلة ذراعه عندما كان يشاهد الذين تمزقهم القنابل ولا يتعرف عليهم أحد .

ومع ثوابت عاداته التى انكفأ عليها الأسطى "**مرعى**" . كان يكرر ما يفعله يومياً . حتى مع كل موسم . أو فى كل عيد – الأسطى " **مرعى** " لم يعش إلا يوما واحداً ، فيما عدا الأحداث الخطيرة التى وجد نفسه بداخلها . وهو لـم يـساهم طوعاً فى اندلاعها . فقد عاش زمن الحرب العالمية الثانيـة بالمدينة . عاش اضرابات العمال ، واضطراب الأحـوال ، عقب أن حطت الحرب أوزارها . كل شيء فى حياته كـان يحاول تثبيته على مواعيده .. لا يتبدل إلا تحت قوة الأسباب القاهرة . المرض . السفر الاضطرارى إلى نجعه بجزيـرة

" **شندويل** " .. عزاء يؤخذ . ميراث يجزأ . ورئيفة ظلاً لـــه في تلك العادات – حتى شاخ فوجد نفسه قابعـــاً أمـــام ذلـــك الجهاز الصغير " **التليفزيــون** " الذى استولى على فؤاده " أنا الآن أفضل كثيراً من " **هارون الرشيد** " .. " **هارون** " كـــان يستدعى الشعراء والمغنيين إلى قصره وهاهم يـــأتون إلـــى سريرى .. إلى غرفتى " . كان الأسطى " **مرعـــي** " يـــسهر أمام برامج " التلفزيون " يشاهد الأفلام الإفرنجيـــة والأفـــلام العربية التى تشبهها فى الحركة .. يتمسك بمـــشاهدة الفـــيلم الزاخر بإطلاق الرصاص والقتلى والمطاردات . و "**عبد الله**" يحاول أن ينقله من القتل غير المبرر للأجـــسام إلـــى القتـــل المعنوي الأكثر تأثيراً . فانتقل تدريجياً معه لمـــشاهدة أفـــلام الحروب . تلك الأفلام الأمريكية المقررة والتى تجعـــل مـــن فرد واحد .. فى مقابل أمة أو جيش أو عصابة كبيرة .. وفى كل مرة يتفوق الفرد وتنهزم الأمـــة والجيـــوش والعـــصابة الكبيرة .و بورما وكوريا وفيتنام .. الأفلام الأمريكية جمدت الأسطى " **مرعى** " أمامها عند الخط الـــذى لا يريدونـــه أن يتحرك ويجتازه . وإذا ما مـــرض الأســـطى " **مرعـــى** " .. مرض الموت . تلفت نحو " **عبد الله** " – بصفته أكبر أبنـــاءه ليمنحه ما لديه من أسرار . مكان نقوده التى لم تكن كثيرة . وما يحتفظ به من تذكارات – نفيسة بالنسبة له – ماله ومـــا عليه . أوراقه،وملف به كل ما يخص البيت الذى بناه بجهـــده

الذاتى ، ليكون مأوى لأولاده . يستدفيء بهم حولـه . ومـن بين أحاديثه المتقطعة . قال لإبنه :

- الجماعة الأمريكان دول جماعة هجاصين " **جوى** " غيـر الروس خالص .. لا يمكن لواحد يتغلب على أمة أو جيش . أو حتى عصابة كبيرة .. أديك شايف يا " **عبد الله** " الـصين انتصرت . وفيتنام انتـصرت . و " **خروشـوف** " ضـربهم بالجزمة .. و " **عبد الناصر** " انتصر .. فاضل بس نـشوف حكاية فلسطين.

ومات الأسطى " مرعى " وهو يعتقد بأن الأمريكـان جماعة " **هجاصين** " غير " **الروس** " خالص .. ولـم يعـش ليشاهد سقوط الروس وفرعنة الأمريكان ، حتى على أبنـاء الفراعنة!

•••

" **زعربانة** " كانت القرى والنجوع . لابد وأن تخرج منها دون رجعة لتكتسب رداء المدينة ويقال عنك " **خـلاص بقيت أفرنجى بتلبس وتتكلم على الموضة** " .. وقـد ظـل الناس فى " **زعربانة** " يعيشون عوائدهم القديمة لوقت طويل ولم يشعروا بأن المدينة والزمن كانا يعمـلان بـدأب فـى اضمحلال تلك العوائد .. وإسقاطها . إذ كان شيوخ النجـوع العظام يزورون أهل النجع فى " زعربانة " . كـل عـام .

يأتون إليهم ليجدد أهل النجع أمامهم العهود ، بأن يتبعوا كلام " **الله** " ولا يضلوا ..

الشيخ " **ضيف** " كان يأتى من جزيرة " **شـــندويل** " إلى ناس النجع فى " **زعربانـــة** " . حضوره يجمع أهل النجع فى " **الجمعية** " التى أشبه بمقهى شعبى . يجعل أهل النجـــع يتذكروا بأنهم انقطعوا عن زيارة بعـــضهم . وأن الفواصـــل التى حذر منها الشيخ " **ضيف** " قد إتسعت كثيـــراً .. وكثيـــر منهم تلهى بالعمل وغير العمل على أن يحافظ على فـــروض الله وأهمها الصلاة . وكثير منهم أخذ العهد وتناســـى صـــلة الرحم ومساعدة البلديات .. تجاهل الوافدين الجدد فلـــم يقـــدم لهم مساعدة تذكر .. وكثير من ناس النجع لم يعملوا بوصايا الشيخ .. أي يجعلوا أولادهم يتعارفوا وأن يعتزوا بأهلهم فى الصعيد .. وعدد كبير من أبناء النجع انجـــذب إلـــى بيـــاض وسمنة وعيـــون وأرداف البحراويـــات ، فوجـــدوا أنفـــسهم مسيرين نحو الارتباط بهن والزواج منهن .. ضاربين بوصايا الشيخ بأن يتزوج الصعيدى من الصعيدية،حتـــى لـــو كانـــت عجفاء . فهى لحمه الذى يجب أن يلمه ويغصب عليه نفـــسه ويضمه !

•••

حضور الشيخ " **ضيف** " فى صيف كل عام ، ليمضى بين ناس النجع شهراً ينقص أو يزيد،وكل بيت مـــن بيـــوت

ناس النجع فى " **زعربانـــة** " يستضيف الشيخ يومـــاً . يقـــدم للشيخ ما لذ وطاب . ما لا يقدمه لنفسه وأولاده طوال العام . ذلك كان يأتى بعيد الأضحى الزاخر باللحوم فى غير موسمه ، فالبيوت التى سيتفاخر أربابها أمام الشيخ بأنهم "**مستورين**" وفالحين ولم تأكلهم التغريبة . حينما سيحضر الشيخ سيوســـع كل منهم على عياله ، حتى لو اقترض ثمن الضيافة المميـــزة . وبعضهم كان يأتى لعياله بكسوة جديدة حتى إذا ما شاهدهم الشيخ يباركهم ويقرأ على رؤوسهم سور القـــرآن الكـــريم ، يجدهم فى حال أفضل من عام مضى .

والشيخ " **ضيف** " كان يوصيهم إذا ما فتح الله علـــيهم ووسع فى أرزاقهم . ضرورة التفكير فى زيادة رقعة أرضهم بالصعيد . وإذا بنوا بيتاً وتملكوه فيكون الأفضل لهم بيت فى الصعيد . والشيخ يعتبر الفائز من ناس النجع من يكـــون لـــه أملاكه فى نجوع الصعيد . وبعدها تأتى أملاكه فى المدينـــة . النجع أولاً ثم المدينة .

و " **عبد الله** " كثيراً ما باركه الـــشيخ " **ضـــيف** " . وكثيراً ما تطلع " **عبد الله** " وشاهد وجهه المـــستدير وذلـــك اللغد الذى يتوسده .. لم يكن للشيخ تلك اللحية الكثيفة . كانت لحيته قصيرة الشعر . يمكن أن يشاهد " **عبد الله** " من خلالها صفحة ذقنه . وتلك البشرة الضاربة للإحمرار الـــسابح فـــى البياض .. ولم يكن الشيخ طويلاً . كان ربعـــة مـــدملكاً

وأصابع كفيه قصيرة ومنتفخة ، يرتدى زى المشايخ الغزلية بالحزام الحرير وفوقها الجبة الصوف . وفى قدمه الجورب الذى يضعه فى حذاء أسود لامع عالى الرقبة . وله عمامته وشاله الحرير . ورائحة عطره المميزة . وأهل النجع بالإسكندرية منذ قدوم الشيخ – بواسطة الكبار ومنهم الأسطى " **مرعى** " – يجمعون له أموالاً ، كل بقدر استطاعته . لكن لا أحد يتهرب من الدفع – فالأموال لإعمار مسجد النجع ، وبناء مقام لوالد الشيخ ليكون مزاراً هناك . و " **عبد الله** " كان يشاهد والده وهو يحصي النقود مع العم " **طُلَيبة** " والعم " **عمران** " . ويضعون المال فى كيس من القماش . فى آخر يوم من زيارة الشيخ " **ضيف** " لأهل النجع ، يقوم وفد كبير بحضور " **الخاتمة** " وفيها يعظهم الشيخ بنفس مواعظ العام الماضى . وفيها تجهز للشيخ حقيبة هدايا يحملها إلى ناس النجع بجزيرة " **شندويل** " . يوزعها عليهم بنفسه . وفيها يقدم له الكيس وبه المال . يأخذه بإهمال ويضعه بجانبه . و " **عبد الله** " يكون فى هذه الحالة مراقباً لكيس المال وتحركاته .. وإذا ما تلفت إلى شيء آخر وعاد إليه يجده قد اختفى فى طيات ملابس الشيخ الذى لا يكف عن الكلام والوصايا . يذكر الناس بأسمائهم وأسماء عيالهم . وناس النجع الذين يذكر أسماءهم ينتشون ويزهون !

على محطة قطار " **سيدى جابر** " يتجمع عدد كبير من كبار ناس النجع فى وداع شيخهم . منهم من يذهب ويقطع له تذكرة السفر . ومنهم من يحمل له حقائبه . وإذا ما جاء القطار تزاحموا فى وضع حقائبه على الرف وأجلسوه وأراحوه وأخذوا يستمعون إليه وإلى نصائحه ووصاياه حتى يتحرك القطار .. يلوحون له بأياديهم .. وإذا ما أختفى القطار .. عادوا .. كل إلى مصالحه – ربما يلتزمون عدة أيام بوصايا الشيخ .. ثم تعود ريما لعادتها القديمة .. كما تقول " **أم عبد الله** " .

•••

فى آخر زيارة للشيخ " **ضيف** " لمنزل " **عبد الله** " .. رآه يوبخ والده لأنه اشترى أرضاً من يهودى يدعى " **سموحة** " ، عندما قام " **سموحة** " بتبوير أراضى زراعية فى " **غبريال** " . الأرض التى تم تقطيع شجر الموز منها وسميت بأرض الموز ، وهى قريبة من سوق باكوس والأرض التى قطع منها الموز والنخيل سميت " **غبريال** " . باعها " **نصر** " لإنشاء المبانى عليها . باعها بالتقسيط . وكان يتلقى أقساطه فى مقر يجاور نادى سباق الخيل فى أرضه التى بـ " **سيدى جابر** " . الشيخ كان يتحدث معاتباً بصوت خفيض . والأسطى " **مرعى** " كان منكس الرأس . و" أم **عبد الله** " كانت تعتذر بالنيابة عن زوجها وتؤكد للشيخ

" **ضيف** " بأنها هى السبب . " **أبو عبد الله** " كان يود أن يكون له بيتاً فى النجع .. لكن ماذا نفعل يا سيدنا الشيخ . العيال بتكبر وقد ارتبطنا بالمدينة ، ولم يعد لنا ما نعود إليه فى الصعيد .

الشيخ رفع رأسه نحوها بحدة وقال :

– وهل يقطع الإنسان جذوره يا " **أم عبد الله** " ؟ المدن ليس لها أمان . إنها كالغوانى لا يعرف أحد متى تنقلب عليه ..

و " **أبو عبد الله** " كان ينظر إلى زوجته وكأنه يقول لها " .. **منك لله .. جعلت شيخنا يغضب منا** " .. وفى ذلك العام ضاعف " أبو عبد الله " المبلغ الذى يدفعه للشيخ وبالغ فى إكرامه ..

و " **عبد الله** " لا يدرى متى انقطع الشيخ عن زيارتهم فى المدينة .. أو بمعنى آخر .. متى صبغتهم المدينة بصبغتها ، فانسلخ " **أبو عبد الله** " عن ناس النجع .. ؟ !

•••

١٠

[الأمطار الغزيرة لمدينته لا تطفيء
ناره ، فالنار تشتعل بداخل صوبته
.. وذلك القمر الذى يصاحبه كثيراً
فى تجواله .. كثيراً ما يغيب وراء
السحب . فلا يستفيد من ضوءه .
لذا فلابد وأن يصنع لنفسه قمراً !]

•••

ضاحية " الرمل " خلقت من اللهو والعمــل . ومــن المتروكات والضرورات . ســاهم فــى إعمارهــا الــسلام والحرب . فعندما ضاقت المدينة القديمة ، تطلعت إلى البراح نحو الشرق . لكن ذلك كله ســيكون فـــى ناحيـــة وترعـــة " **المحمودية** " فى الناحية المقابلة . تأتى فى مسارها لخمسة وأربعين ميلاً .. بالحقول .. والمزروعـــات . تتركـــز فـــى الضفة القبلية . لأن الضفة البحرية .. سيقع عليها الاختيـــار لتتقاطر بها عنابر المصانع .. لتجذب من داخل البلاد أفواجاً من النازحين ، خلبت لبهم المدينة بأساطيرها التى هــصرت

أذهانهم فقطرت أمانيهم نحوها . لتمسى بالنسبة لهم – مدينـــة الأحلام والسحر ٠٠ دون كل المدن .

ضاحية " الرمل " وبالتراكم ، سوف تحدث الفـــروق حتى يكاد الرائى أن يفصل بين القديم والجديد بسهولة . البلد والضاحية . الرملاوى والسكندرى . إذ أن السكندرى حتـــى ولو لم يسكن فى " **المدينة القديمة** " ، سيجمع فى أعطافه كل ما خلفه .. اليونان والرومان والعرب . الأتراك والمماليـــك بصورهم البعيدة والقريبة، عندما يتقلب الجميع علـــى بـــساط الثقافات الحديثة، التى ستنقل من معقلهـــا لتتغـــذى بالعـــشب المحلى، وتتجب لوناً جديداً من العلاقات .. تختص بها المدينة ، التى لا تكف عن التفاعل وتبديل أثوابها . هى أثوابها التى اختارتنها على مقاسها ومكانها ومناخها وســـمهريتها . هـــى التى ابتدعت طريقاً وسَطاً . اعتادت على الدفع به منذ كانت الثقافة الشرقية الفارسية هى السائدة . ومنذ جـــاءت الثقافـــة اليونانية لتتصارع معها ، فقامت المدينة بمزج الثقافتين فـــي إناء واحد " مدرسة الإسكندرية " لتنتج الفلـــسفة الهلينـــستية التي توفق بين الاثنين وتعتبرهما أصحاب حـــق متـــساو .. فالمهزوم دائماً ما يقلد المنتصر في أســـلوب حياتـــه .. ثـــم يحاول أن يصل إلى أسلوب تفكيـــره لا حبـــاً فيـــه . ولكـــن للوصول إلى مكمن قوته، وقدرته على الوثبة التـــي أرغمـــت المهزوم على الرضوخ .

وما اللهو إلا الاستمتاع الحر بدون رقيب ، لن يجـد المتطلع حوله إذا ما وقف بين البنايات بالقلـب إلا أن يتجـه شرقاً . فليس في الشرق إلا امتداد الشاطئ والكثبان الرملية ، فارغة تناديه ، تؤكد له بأن في مساحتها الهـدوء المنـشود . وما دام ماء الترعة بات قريباً ، فالماء ماء النيل . ماذا تريـد أيضاً إذا ما كانت وسائل المواصلات لم تسعفك ، فأنت لـن تطيح بنفسك بعيداً . فليـتم تعميـر " الـشاطبي " ، إطـوي المسافة وابنى قصرك في " الإبراهيمية " وسوف تكتشف بأن ثمة منطقة أثرية قديمة هناك ، إنها المنطقة التـي اختارهـا قيصر الرومان معسكراً " كامب شيزار " ، فليختـار طالـب المتعة مكاناً بالقرب من شاطئ البحر ويقيم مبنـاه – وعلـى القاعدة المعروفة – إذا ما افتـتح أحـدهم المكـان ، جـذب الآخرين لمجاورته .. في البداية سيكون المطلب سعياً للهدوء وممارسة اللهو الخاص .. ولكن لا لهو إلا ويتأسـس علـى عمل شاق يستحق الإجازة .. وبذلك ستتوالد " ابـروزو " و " الحضرة " و " سيدي جابر " و " الرمل " لم تـزل مكانـاً متاحاً وممتداً .. والأجانب وعلية القوم سيلتصقون بالبحر .. فيلتصق العمال والفقراء بالترعة .. بالنيل الذين ينجذبون لـه ، ويسكنون على ضفته ، يتمددون بنفس القدر معها .. علـى نفس الجسم السمهري في " جنوبـه " ولقـائهم المـستعرض بواسطة الوسطاء .. الوسطاء هم الفئات الوسطى .. هم الذين

تزدهر بهم المدن القديمة والجديدة.هم الأفندية لابسي البذات الكاملة.والطرابيش على رؤوسهم ، والذين سيضفون على المدن مزيجاً من ثبات عوائدهم .

ففي وقت السلم سوف يلعب مناخ المدينة لصالحها ، يهيئ لمن عبروا البحر في حالة اعتداله ، إقامة مناسبة وطويلة . إقامة لا تكون متعجلة بسبب التقلب والحرارة التي لا تطاق . سيعتبرها البعض منهم مسكنه الدائم . وإذا ما اتسعت أعمال التجارة ونشاط الميناء ، فالعمران سوف يتسع بالضرورة . وإذا ما انقلب الحال إلى حروب . فسيكون وجود الاحتلال الأوربى في مصر واحداً من أسباب تعاظم المدينة وإشاعة العمران بها ، فالمدينة التي سيكون بها من البحر مكاناً صالحاً لنقل بعض صناعاتهم التي يصعب نقلها على البواخر وتكلفة النقل – بالحرب الأولى – كبيرة وبالحرب الثانية – خطيرة لوجود الغواصات بالأعماق ..

ولو لم تكن ترعة المحمودية قد أمدت المدينة بماء النيل .. لقام أصحاب الحاجة بنقلها بتكلفة عظيمة . أما و" محمد علي " قد فعلها . فقد سهل للجميع أنشطتهم . لكن إذا ما استتبت الحروب وهمدت المدافع ، وعادت المدن الأوربية لكامل نشاطها الصناعي . فالطامة الكبرى ستقع على المدن البديلة .

- احملي حاجياتك يا سيدتي واذهبي .. أنت مفصولة .. نحن لن نكون في حاجة إليك .

- لكنني في حاجة إلى راتبي يا سيدي .. وقد كيفت حيـاتي عليه وعندي عدد من الأولاد الصغار أنفق عليهم .. باتوا في رقبتي .

- مالي أنا وما في رقبتك .. أنا أدير مشروعاً تجارياً وليس ملجأ للمعوزين والأيتام !

- ماذا أنا فاعلة الآن ؟ .. لقد فاجأتني بإنهاء عملي وأنا ليس لي عمل غيره ..

- هذا شأنك أنت الآن .. سددي ديونك من مكافأتك واذهبـي إلى حال سبيلك .

وهكذا .. عقب وضع الحرب لأوزارهـا ، دخلـت المدينة في دوامة العوز والحاجة .. نعم سيكون مظهرها لـم يزل خادعاً ، فالملابس التي عليها تم شراؤها أيام الرخاء .. وما في جيبها قد يكفيها وعيالها لأيام معدودات ، وعليهـا أن تواجه الفقر والبطالة . أن تكيـف نفـسها لحيـاة جديـدة .. ستكون موشاة بالحرمان .. لكن بعض من كرامة تمور فـي نفسها . تجعلها تتماسك ، مؤمنة بأن الله لا ينـسى عبيـده .. ومتوجسة بأنها إذا ما ركنت إلى الانتظار قد يـدهم أولادهـا الجوع والموات ..

•••

الرملاوية .. فى معظمهم وافدين من الأعماق . من النجوع والقرى . كانوا يذهبون إلى المصانع بجلابيبهم . أمروهم بأن يبدلوها بالأفرول . فارتدوا الأفرول على الصديرى الريفى ، وفوق الرأس العمامة أو الطاقية . الأصداغ كان أهل القرى يوشمونها بالعصافير الخضراء . أو بالتشريط الثلاثى الذى فى اعتقادهم يشفى عيونهم من الرمد الربيعى . لكن دوران السلندرات والطارات ووجود السيور حتمت عليهم لبس الزى " **الأوربى** " المقرر للعمال . فلبسوا ما حصلوا عليه من مخلفات قديمة لعسكر الجيش . كما أن ضجيج الآلات فى العنابر .. طير تلك العصافير الخضراء الموشومة على الأصداغ . من طارت عصافيره بات منتسباً للمدينة . لم يعد له حلمه فى حياة القرية أو النجع . ومن بقيت عصافيره متشبثة بأصداغه . كان مفلوقاً إلى نصفين .. جسده يسعى فى المدينة . لكن روحه هناك معلقة بريف القرى والنجوع . ومع ذلك فقد تلقف هؤلاء العمال – الجماعات اليسارية أو اليمينية ، هؤلاء الحزبيون راحوا يعبئون رؤوسهم المزحومة بالأمانى بتلك الأحلام الكبرى . وبكثير من البنود المنقولة من الدساتير التى خطها أهلها بالدماء . هؤلاء الحالمون يظنون بأنهم لقادرين بطوابير العمال الريفيين ، أن يطبقوا ما حدث من اصلاحات فى مصانع أوربا .. هنا على ضفاف ترعة المحمودية ..

والزميل المهموم بمشاكل العمال وحوافزهم وفئاتهم . عنـدما كان يضع أياديهم على كثير من حقوقهم الضائعة . كان فـي الواقع يحيل رضاهم .. بالمقارنة لما كـانوا يعيـشونه فـي الريف .. إلى شوك ومسامير . وبالمقارنة بما يعيشه عمـال أوربا .. غضب فوق التصور .. وثمة مـن يحـدثهم عـن " **فائض القيمة** " ويتمادى حتى يجعـل المـصانع والإدارات الحكومية والقصور والميادين والثروات من أملاكهم الخاصة .. هم ادخروها .. فأساء الرأسـماليين اسـتخدامها .. إنهـا مدخراتكم التي يجب أن تعود إليكم !

•••

كان والد " عبد الله " – وعبد الله لم يزل صبياً . قـد انجذب إلى تلك " **الأحـلام** " يجترها مع أكواب الشاى الأسود ودخان السجائر فى المقاهى . وقد انغمس فى اضراب شركة " **سباهى** " . ذلك الإضراب الكبير الذى شـارك فيـه آلاف العمال . يودون تحسين شروط العمل . فاعتصمت الورديـة الثانية مع الوردية الأولى وانهمك النقابيون فى التفـاوض . لكن أصحاب العمل كانوا يتلكأون حتى يحضر بلوكات النظام ويؤدبوا هؤلاء العمال على ما فعلوه . والعمـال يتمـسكون بالاعتصام وتعطيل العمل حتى يصلوا إلى حل لمشاكلهم مـع الإدارة . قام الطابور المدسوس بحرق بعض أكـوام الكهنـة ليعطى مبرراً للمذبحة التى أدت إلى موت ستة عشر عـاملاً

بين قتيل من جراء الضرب بـالهراوات – أو غريـق فـي " **ترعة المحمودية** " – باب المصنع الرئيسى يطـل علـى ترعة المحمودية مباشرة . وعندما اشتد الالتحام بين بلوكات النظام والعمال ، حاصروهم ولم يتركـوا لهـم منفـذاً إلا " الترعة " والكتل التى تدافعت متماسكة . سقطت كتلة منها فى الترعة . . وقيل أن الأمن " كهرب الأبواب الحديدية حتى لا يفلت أحد من الذين يحاول " **الأمن** " وضع المسئولية فـى رقابهم . وأثناء الضغط والاضطراب . التصق أحد الـضباط بالأبواب الحديدية فصعق ومات من أثر الصعقة الكهربائيـة فى ساعته .

وثمـة من كان يدير المعركة . ولم يكن محايداً كـى يعرف مطالب العمال . أو ليقنعهم بأن الرواج الـذى كـان مسنوداً أثناء الحرب .. ذلك الـرواج،ذهـب بـسبب دوران مصانع أوربا واستعادتها لأسواقها . يحاول أن يوفـق بـين العامل المظلوم والرأسمالى الذى يواجـه كارثـة لارتباطـه بالتطورات العالمية . ولأنه لم يكن رأسمالياً وطنياً يدور فـى فلك المتاح من الامكانيات الداخلية . ما كان يعنى " **الأمـن** " هو أن لا ينجح هذا الإضراب بأيـة حـال ، فـإن نجـاح إضراب فى مكان ما . سوف يشجع سلسلة من الاضـرابات الأخرى التى قد تندلع تباعاً . وكان لابد من إفساد الإضراب

ومعاقبة القائمين والمشجعين عليه بأشد أنواع العقاب ، " **إضرب المربوط يخاف السايب** " .

الاضراب .. ومعاركه .. تم بداخل وخارج مصنع " **سباهى** " بالعوائد والسيوف . لكن دوائره شملت العديد من أحياء المدينة الشعبية . وبه تأثرت " **زعربانة** " ، فمعظم قاطنيها من عمال وموظفين ونقابيين فى شركة " **سباهى** " . والاضراب حدث قبيل قيام " **حركة الجيش المباركة** " . يعبر عن مدى الظلم الذى كان يحيق بالطبقات الدنيا . فالعمال أصحاب الهوية الريفية . ليسوا هم بالعمال الصناعيين كما فى أوربا حتى يمكن توعيتهم بواسطة المفكرين والنقابيين والذين ينصبون أنفسهم قيادة للبروليتاريا . وأين هى البروليتاريا فى مصر ؟! . والرأسماليين عندنا ليسوا هم الراسماليين فى " **أوربا** " . الذين واكب صعودهم من تحت إلى فوق .أفكار ونظريات وتحالفات.وانتصارات في معارك ضارية ..-العمال عندنا كالعزب والكفور والوسايا. الرأسماليين عندنا يملكونها وما عليها . إنهم رأسماليون ينزلون من كونهم " **شبه إقطاع** " إلى كونهم "**شبه رأسماليين**" يحلون فى هذا النظام بدون دراية أو نظرية .. أو احساس بصراع يحط على الأرض بحياة جديدة ..

•••

ذلك الموضوع الساخن لم يفهم " **عبد الله** " أبعاده إلا عندما قام والده بملء الفراغات فيــه . وأخـذ يحدثــه عــن زملاءه النقابيين وكيف تم القبض على بعــضهم وحبــسهم . وكيف أشاعوا عنهم بأنهم " **كفرة** " . إذ يتدخلون فــى أرزاق حددها الله لعبيده . وإذا ما عاد بعضهم إلى عمله . تجنبــه " العمال " فلا يتحدثون إليه إلا لمكابدته . يسألونه وحــده دون كل العمال الذين لا يذهبون إلى الــصلاة .. هــل صــليت ؟ وكيف تصلى وأنت كافر ؟ لا تقل أن الشيوعى مــؤمن .. ؟ الشيوعى لا يعرف الحدود لأنه لا يمشى على قواعد الدين ، نعم ربنا عادل ويحب العدل . لكن لا يحرضنا لنتغلب علــى ولى نعمتنا الذى يأكلنا عيشاً فى مصنعه .. إذهب بعيداً عنــا .. كفانا الله شرك يا أخى .. !!

ولم يفكر " **عبد الله** " فى أن يقــوم بتوضــيب هــذا الموضوع روائياً إلا بعد اللقاء بالأستاذ " **رأفــت شــنودة** " . الذى عرف عنه بأنه قضى فترة الحبس لاشتراكه فى مقتلــة بسبب الإرث الذى تركه له والده المتوفى وطمــع فيــه أولاد أعمامه . لكن إذا ما ظهر الأستاذ بالإسكندرية . ظهر علــى أثر ضجة الافراج عن السياسيين الذن أعتقلوا فى الواحات .. لقد حلوا أحزابهم الصغيرة وانخرطوا فى تحالف قوى الشعب العامل بالاتحاد الاشتراكى . . وأكد له الأستاذ بأنه لم يحبس فى قضية الميراث فقد حصل على " **البراءة** " عنــدما أكــد

الشهود بأن شقيقه " **صـــبحى** " الذى مات متأثراً بمرض فـــى قلبه . هو الذى بيت سكينته فـــى صـــدر ابـــن عمـــه أثنـــاء المشاجرة . وبذلك تم الافراج عنه . لكنه لم يهنأ ، فعلى أثـــر عودته إلى الإسكندرية فى مارس ١٩٥٩ م – تم اعتقاله فى منزله فجراً ..

•••

١١

" حقيبة " " المحامى " تتكلم بحساب الأتعاب "
" حقيبة " " السياسي " تصنع ضجة مجانية "
•••

عملاً بوصـــايا الـــشيخ " **ضـــيف** " .. ود الأســـطى " **مرعى** " أن يزوج ولده " **عبد الله** " من صـــعيدية ، لـــيس بالضرورة أن تكون من النجع القبلى . يكفى أن تكـــون مـــن أبناء " النجع الزعربانى الرملاوى " ، فى ظنه أن ذلك يبتعد بابنه عن بنات المدينة اللاتى يـــتكلمن بـــالعين والحاجـــب . ويحزقن ملائتهن على أردافهن . وكأن الواحدة منهن دهنـــت جسمها باللون الأسود اللميع ومشت عارية .. وكل ما يتمنـــاه أن يحصل ولده على زوجة – تكون مثـــل أمـــه .. تتحمـــل تقلبات الزمن ، وتقلبات زوجها . إذا ما ضاقت به الأحـــوال فأفرغ فيها غضبه !

" **الأسطى مرعـــى** " استعرض – مع زوجته رئيفة – بنات النجع القبلى والبحرى ، فهو بجانب الأصل الذى يبحث عنه . يفضل أن يناسب ابنه " **عزوة** " ، فإذا ما وجـــد فتـــاة

على قدر من الجمال كان فى الجانب الآخر أب رقيق الحال . وإذا وجد أب يمكن أن يتساند عليه ولده .. . وجد أن ابنته " **تهمة** " قد تؤدى بابنهم إلى المهالك .. وتدخل " عبــد الله " فى تلك الموازنات . وحتى يفض الشجار الذى بين والديــه . عندما يميل أحدهما إلى جانب فيميل الآخــر إلــى الجانــب المضاد . وأعلنها صريحة بأنه لن يتــرك بنــات اســكندرية " **المشمش الحموى** " ويلقى بنفسه على " **البلح المحمــص** " .. لكن والده لم ييأس ، أخذ يغريه بالمساعدات التى يمكن أن يقدمها له إذا ما وافق وتزوج من ابنة أحد البلديات . غازلــه بأنه سيتكفل بتــشطيب الــشقة الــى يرنــو إليهــا شــقيقه " **عبد الرحمن** " الذى يصغره بعام ونصف . ويتطلــع بــل يتحرق إلى أن يتزوج .. أية زيجة من بنات النجع الرملاوى . أو حتى من بنات النجع فى " **جزيرة شندويل** " ..

" **عبد الله** " يعرف بأن " **عبد الرحمن** " لن يتخطــاه .. إلا إذا شذ عن العادات واستقل بعيداً عن العائلة .. وشقيق " عبد الله " الصغير المسمى " **عبد العال** " لم يتخطــى بعــد مرحلة الدراسة الثانوية – عندما شاهد الضغوط التى تمارس على شقيقه الكبير .. مال عل أذنه وهمس :

– " عواطف " يا أستاذ " عبد الله " .. طس المسألة وزى مــا تيجى !

تجمد " **عبد الله** " .. أزاح شقيقه بيده وظل ينظر فى سقف الحجرة . ووالده استمر فى الضغط عليه .. فى ظنه أن ولده بدأ يلين .. قال فرحاً به :

- عارف انك ولد ابن حلال .. وحتسمع كلامى .. انت غير " **علوان ابن الشندويلى** " .. دبس نفسه فى واحدة .. طلعت أمها غجرية بتحاسبه على الليالى التى ينام فيها مع امرأته..

•••

إذا ما تلامست رغبة " **عبد الله** " مع رغبة " **عواطف** " .. ترصدها .. باتت نظراتهما تتشابك عند كل لقاء . " عواطف ابنة المنجى عبد اللطيف ، سائق القطارات . ذلك الرجل الطويل عريض الأكتاف . القوى . المتجهم دائماً . والذى يرى بأن إقامته فى " **زعربانة** " بين الصعايدة والفلاحين . كانت من أكبر أخطاء حياته ، فترفع على الجميع . " **المنجى عبد اللطيف** " يكثر من السفر . والوقت الذى يمضيه فى منزله يلزم حجرته أو يجلس فى شرفة منزله " الذى يملكه ويسكنه وحده من بابه . والمنزل يقع بداخل حارة مسدودة متفرعة من شارع " **الكسائى** " . شارع " **السوق** " والزحام .وبالحارة بيتان يواجهان بيتين والخامس فى العمق .. لذا أعتبرت الحارة المسدودة ، صالة أو فسحة للبيوت الصغيرة التى تطل عليها . لا يدخلها غريب ، فهى ليست معبراً ..

وأم " **عواطف** " .. منصورية .. بيضاء ، متختخة ، وذات سن ضاحك ، تميل إلى زيارة جيرانها ووصـل الـود معهم ، فتترك عند النساء والرجال أثراً متـضارباً .. يقـع وسطاً بين الغيرة والتواصل ، " عواطف " أخذت من أمهـا الكثير مما يسبب عند الجارات الغيرة .. ولأنها أنهت دبلـوم المعلمات وتتطلع لأن تعين كمعلمة للأطفال -- فإن أحاديثهـا باتت ذات مضمون جذاب لمن هم فى مستواها .. ومنفر لمن هم دون مستواها ..

أم " **عواطف** " تكثر من الحديث عن ابنتها وشطارتها وخاصة فى البيوت التى بها ذكور يتأهبون للزواج . لم تكن " عواطف " قد صارحت أمها بذلك التوافق الذى حدث بينهـا وبين " عبد الله " ابن النجعاوية ..

" **فالمنجى عبد اللطيف** " كان قد تشاجر يوماً مع أحد الفرانين الصعايدة بسبب الزحام على شراء الخبز ولم يعـره الاهتمام الكافى .. لم يكن ليتصور بأن المشاجرة مع صعلوك مثله ستكبر وتتضخم لتقوم " **ميليشيا** " جمعية الصعايدة بالثأر للنجعاوى الفران . إذ تجمع عليـه بعـضهم وردوا صـفعته للفران . علقة حامية " نصفها موت " . ولولا أن " **المنجـى** " قوى البدن وعافر حتى لا يسقط علـى الأرض .. لـسجلت عليه " **الفضيحة** " . ولما رضخ لأصحاب العبـايات الـذين يأتون بعد المطاحنة ليكبسوا الجروح بالبن والكلمات الطيبـة

المنزوعة من الأحاديث القدسية .. والمشاجرة ضاعت ضمن المشاجرات التى تندلع يومياً بالسوق .. إنه التفاعل اليـومى بين الوافدين وبعضهم .. وبين الوافدين الجـدد والقـدامى .. وبين أبناء وجه قبلى وبحرى .. إنه الغليان الدائم الذى يبلور عنصراً جديداً يلائم الحياة فى ضواحى المدن .

" **والمنجى عبد اللطيف** " فى نفسه آثار تناساها مـن حوله ولم تزل باقية . دأب على إطـلاق سـخرياته علـى صعايدة " **زعربانة** " بأنهم البلاليص التـى خلفتهـا مراكـب " **المحمودية** " .. وأنهم الذين جاءوا إلى المدينة مشياً علـى الفلنكات . وأنهم يحلون على المدينة غير مدربين على لـبس السراويل تحت الجلابيب .. وإذا ترفق بالصعيدى أطلق عليه " شمروخ " . و " أم عواطـف " البحراويـة – ذات الفـشة العائمة .. تسخسخ من الضحك لمراضاة زوجهـا .. ولكـن " **المنجى عبد اللطيف** " كان من النباهة أن يلحظ بأن إبنته لم تعد تتجاوب مع سخرياته .. كانت تحتج بالزومات والكلمات المضغومة . حتى انفجرت فيه :

" ما بهم الصعايدة يا أبى ؟. هل كنت ستتعاطف معهم لو أنك صفعت أحدهم بالكف على صدغه ، فطأطأ لك هامته ومـشى منكسراً ؟!

" **أم عواطف** " انتبهت إلى أحوال إبنتها .. وأمكنهـا أن تجمع بعض الجزئيات على بعضها وأن تتعـرف علـى علاقة ناشئة بين ابنتها و " **عبد الله مرعى** " .. قالـت فـى نفسها .. ماذا بالجدع ؟ .. أكمل تعليمه الجامعى وتسلم عملاً فى مصنع الحلويات ، ولأهله بيتهم الملك . وستكون ابنتـى إذا ما تم الزواج بها مقيمة بالقرب منى .. " **عواطف** " سرها معى ، لم تكن تخفى عنى شيئاً .. فلماذا لم تـصارحنى بمـا بينها وبين ابن النجعاوية ؟ .. لعلها لم ترس على حال بعـد .. وانقلبت " **أم عواطف** " تتـاهض سـخرية زوجهـا مـن الصعايدة .. حتى أن الرجل كف فجأة وسأل :

– أيه الحكاية يا ست " **نبيهة** " ؟ لم أكن أدرى بأنك و " عواطف " ميالين للصعايدة الجحاليف ؟!

•••

بينما كان " **المنجى عبد اللطيف** " يجلس فى شـرفة بيته على مقعده الوثير وأمامه الترابيزة عليها صينية تحتـوى على عدة القهوة من سـبرتاية وكنكـة وبرطمـانين للقهـوة والسكر وصندوق دخان .. يكون فى هذه الحالة مراقباً لكـل من يدخل " **الحارة الصالة** " شاربه تنتفش كل شعرة فى اتجاه ، وكأنها قـرن استـشعار . سـوف يـشاهد " **عبـد الله** " النجعاوى .. يدخل الشارع ويتلكأ . وقد إرتبكـت خطـوات " **عبد الله** " إذا ما شاهد " **المنجى** " بالشرفة جالساً .. ولكنـه

بعد الارتباك يمضى إلى بيت " **أبو عوض** " . الذى يقع بعد بيته .. وإذا ما مر " **عبد الله** " به .. يلقى عليه بالتحية والسلام . يزفر " **المنجى** " ويزوم . وإن رد المنجى فهو يرد من تحت الضرس . ثم يقوم ويتكيء على سور الشرفة . يلقى بنصف جسمه فى فراغ الحارة . " **المنجى** " يكون فى هذه الحالة على أهبة الاستعداد بأن ينفث شيئاً ضد ابن النجعاوية . و " **عبد الله** " يسأل عن " **عوض** " الذى لا يكون فى منزله . " **عوض** " يعمل فى محل تجارى ولا يعود إلا إذا حل المساء . وهنا يعود " **عبد الله** " ويختلس النظر إلى شرفة بيت " **المنجى** " .. ولعل " **المنجى** " المستثار فى أعماقه لا ينتبه لحال ابنته وهى التى لمحت " **عبد الله** " فلا تهدأ . أمها تقطع عليها الطريق وتحذرها قليلاً من الإيحاءات والإشارات . بأن تهدأ . ولكنها ستسمح لها بأن تخرج بأية حجة تخص صويحباتها أو الجيران . لتصعد " **عواطف** " المترلاية وتتجه إلى شريط الترام . هناك فى محطة "**بولكلى** " متسع للقاء . وإذا ما شاهدها أحد من ناس " زعربانة " قاما بدور منفصل ، فكلاهما ينتظر الترام فلا يتخاطبا ..

وإذا ما تكرر حضور " **عبد الله** " إلى الحارة المسدودة ، " **المنجى** " لن يتورع من إطلاق صوته تجاه " عبد الله " زاعقاً :

– شوف يابن النجعاوية . بيـــتكم بعيـــد عـــن حارتنـــا . و " **عوض** " يعمل من صباحة ربنا إلى ما قبل منتصف الليل . والولد " **دوقه** " إذا كنت ستتحجج به .. بات مـــسجوناً فـــى سجن الحدراء . واسماعيل الذى يصغرك خدوه فى الجـــيش .. قل لى يابن النجعاوية .. لماذا لم يأخذوك والجيش ؟ .. هذه ثالث مرة فى يوم واحد تدخل الحارة بدون ســبب معقــول هل تبحث عن شيء يمكن أن أساعدك فى العثور عليه ؟

" **أم عواطف** " تهمس فى أذن زوجها المندفع لتقول له :

– عيب يا منجى .. أنت ربكت الجدع .

و" **عواطف** " تحتج على تصرفات والـــدها بالانـــدفاع إلـــى الداخل مع إطلاق تلك الغمغمات التى فى معظمها تـــدعو الله بأن يحفر حفرة ويتاويها فيها .. وبأن يقطع خبرها من الدنيا .. وبالكاد بدأ المنجى الثور الأسمر يفهم بأن التى لديه فتـــاة على وشك الزواج . عليه أن يبدل من تصرفاته ويهدأ ..

" **المنجـــى** " برغم ضخامته وهديره فإنه فى النهايـــة يرضخ لإلحاح زوجته وآرائها التى تغلفها بالأصـــول التـــى تحكم الجيرة .. " **المنجى** " يجد نفسه مكبوتاً وتاركـــاً مقدمـــة التصرفات لأم " **عواطف** " . تدفعه بأن يعزم علـــى الجـــدع عزومة حقيقية . لا عزومة مراكبية . بـــأن يـــدخل البيـــت ويؤانسه فى الشرفة . بأن يتذوق من يده فنجان القهوة علـــى الريحة .. فيطيع . فإذا ما وجه الـــدعوة لـــ " **عبـــد الله** "

سيحدث التبدلات في وجه إبنته يشرق بالضياء . فقد تنسل إلى حجرتها تبدل ملابسها . ترتدى ثوباً لا ترتديــه إلا فــي الخروج . وتعقص شعرها وتأتي من الداخل بما لــديهم مــن فاكهة . تتهادى كعروس .. هنا " **المنجى** " ينقل النظر بــين وجه " **عبد الله** " ووجه إبنته " **عواطف** " .. ثم يستقر علــى وجه زوجته التى تغمز له بأن يقوم من مكانه لينــشغل بــأى شيء بالداخل . سريعاً ما تلحق به ليتركا لإبنتهما فرصة أن تتبادل مع الضيف بعض الكلمات ..

يقول " **المنجى** " لأم " **عواطف** " :

- أفهم من كده إنه مغرم بالبنت وكان بيحضر للحارة . ليس من أجل " **عوض** " أو غيره ..

توازن " **أم عواطف** " لهجته إذا ما وجــدتها لهجــة المفاجأة المريحة الممطوطة والموصولة . بــذلك الإشــراق المتلألىء على وجه ابنته ، فتقول :

- وماله يا " **منجى** " ما انت رجلك حفيت فى شارعنا لغايــة ما وافقت عليك .

الرجل يحط فى مكانه . وينظر حوله دون أن يشاهد شــيئاً . يكون فى الواقع مشغولاً بالمفاجأة . البنت المفعوصة كبــرت فجأة . البنت الذى كان يأتى إليها بحبات الكرملــة وأصــابع النوجا وأقراص الشبيكة وحمص الــسيد البــدوى . كبــرت وصارت عروس تحتفى بالشباب فى سن " عبد الله " .

" **المنجى** " لم يكن يسمح بأن تكون ابنته على علاقة مع هذا الشاب . ويكفى أن يبدأ ذلك الشاب بالمرور أمام بيته ليتملى من " **عواطف** " ؟ لابد وأن يعود إليهما ليضع حداً لتلك المسألة المزعجة . كيف وهو الذى لم يضع فى حسبانه ذلك الزائر الذى لا بد وأن تهتم به . أن يفسح له مكاناً خاصاً بين تشابك تلك الأغصان الكثيفة من الكراهية للصعايدة . فوالده " **الأسطى مرعى** " من كبار ناس الجمعية التى تملك ذراعاً للبطش ضد من ليس هم من بلدياتهم .. لم يكن لمن جاءوا من " **بنها** " جمعية . ولا حتى لأهل " **المنصورة** " . فالجمعية تنشأ على الأعداد الكثيفة . و " **زعربانة** " ليس بها إلا جمعيتين للأهالى . جمعية الصعايدة " **السوهاجية** " وجمعية " **المنايفة** " .. وعلى كل " **صعيدى** " يبدأ نجعه من الجيزة إلى أسوان أن ينضم للصعايدة إذا شاء . كما أن جمعية " **المنايفة** " كانت ترعى شئون معظم فلاحين وجه بحرى .؟ تلك الظاهرة بدأت نتيجة لردود أفعال أهل المدينة مع الغرباء . ومع أن المدينة تسلمتها الشرطة المصرية لاستتباب الأمن بها اعتباراً من عام ١٩٣٧ م – على ضوء معاهدة ٣٦ – فإن " الجمعية " فى الفترة الليبرالية ٢٣ – ١٩٥٢ م – شجع بقاءها والحفاظ عليها كبار رجال الأعيان وأبناء الذوات اللذين تنافسوا فى احتلال المقاعد بالبرلمان ، فقد تلقت " **الجمعيات** " إعانات من الجانبين لتستزيد من الأعضاء

وتتكتل ليمكن الاستفادة بأصوات ناخبيها . كانت جمعية الصعايدة وجمعية الفلاحين تتلقى الدعم وتحتفى بكل المرشحين وتسفح لهما الوعود . ولا يستطيع أى مسئول أن يبدل أحوالها ، فالصوت الانتخابى كان محفوظاً بعيداً فى سجلات القرى والنجوع ، ويقوم هناك كبار العائلات أو العمد بالتأشير نيابة عن الجميع للمرشح الذى تريده الإدارة . ولم يكن يظهر من الإدارة التى تمثل الملك – إلا السادة الضباط والمأمير .. فقد تم استبعاد حزب الوفد صاحب الشعبية العظيمة ، بأحزاب صغيرة تنتقى من بين العملاء – ولم يكن في استطاعة الجماعات الإشتراكية أوالإخوان ومصر الفتاة وغيرهم من المستقلين الذين يعتمدون على جماعات صغيرة لم يكن لها تأثير كبير على أهل "**زعربانة**" فالناس فى " **زعربانة** " يصفقون للمرشحين .. قبل أن تظهر نتيجة الانتخابات ثم لا يتابعون من ينجح أو يرسب منهم!

***

قالت " **أم عواطف** " لزوجها :

– والدك من الجيزة ولك جد لأمك من " **بنى سويف** " .. لماذا لا تنضم لجمعية " **الصعايدة** " يا " **سى منجى** " .. وتتعرف على " **الأسطى مرعى** " والمعلم " **طلبية** "

فكر " **سى منجى** " قليلا ، ثم قال :

– على رأيك .. ما محبة إلا بعد عداوة ..

كان " **عبد الله** " قد تشجع عندما أخذ " **سى منجـــى** " يرحب به على غير العادة وأبدى رغبته فى مصاهرته ..

" ياريت يا عمى توافق على أمنيتى "

انكمش " **سى المنجى** " أمام هذا الطلب وعصف بـــه الخجل . بماذا يرد على اندفاع هذا الشاب وبراءته . لم يجـــد أمامه إلا أن يقول " أنا موافق على أى شيء توافـــق عليـــه " **عواطف** " .. لكن الأصول أن يأتى والدك .. أقصد يـــأتى أهلك ويعرضوا على هذا الطلب . كما أننى فى حاجة لبعض الوقت للتفكير ..

لم ينتظر " **عبد الله** " . راح يقدم لـــسى **المنجـــى** " كل ما يمكن أن يتذكره عن نفسه . ومنعـــت " **أم عواطـــف** " نفسها بشدة من أن تطلق زغرودة تعلن بها عن تلك المناسبة السعيدة .. وبالتخطيط الذى اقترحه " **عبد الله** " .

إنضم " **المنجى عبد اللطيف** " إلى جمعية الـــصعايدة فى " **زعربانة** " واحتفى به البلديات بصورة مبـــالغ فيهـــا . حتى يمسحوا من نفسه كل ما فات مـــن تفاعـــل . ووافـــق " **عبد الله** " على أن يتقدم لخطوبة بنت واحد من البلـــديات . لما سأله والده فى لهفة " من يكون ؟ " قال :

- " المنجى عبد اللطيف .

سكت والده مقهوراً ولم يجب . وعقب خطوبـــة " **عبـــد الله** " لـــ " **عواطف** " إبنة " **المنجى عبد اللطيف** " . حضر شـــيخ

الحارة من " **قسم الرمل** " إلى بيت " **أبو عبد الله** " . يـسأل عن أولاده وسن كل منهم . ويلوم " **الأسـطى مرعـى** " لأن إبنه " **عبـد الله** " متهرب من التجنيد . فبالتحرى وجـد أنـه ساقط من كشوفات النجع " **بجزيرة شندويل** " . وساقط مـن كشوفات " **زعربانة** " بقسم الرمل . ومال شيخ الحارة علـى أذن " **أبو عبد الله** " وقال :

– الظاهر أولاد الحرام أرسلوا ببلاغ فى أولادك وبالذات فى " **عبد الله** " و " **عبد الرحمن** " . ولما كـان شـيخ الحـارة يعرف إسم المبلغ . فقد تظاهر بعـدم العلـم وأحجـم عـن الإفصاح باسمه . أكتفى بأن سلم على "**المنجى عبد اللطيف** " وحملق فى عينيه . فما كان من " **المنجى** " إلا أن يزيد فـى إكرام" شيخ الحارة" ويغمزه بالنفحة من جيبه الخاص نيابة عن الجميع ، ويرافق شيخ الحارة إلى نصف المسافة بين دكـان الجمعية وقسم شرطة الرمل .. !

كان " **المنجى** " قد أرسل بـالبلاغ ضـمن شـكاوى أخرى ليكيد الصعايدة الذين ضربوه . ونسى الأمر . لم يكـن يدرى بأن " **عبد الله** " الذى سيصير خطيباً لابنته هو الـذى سيتأذى ببلاغه ..ولما كان شيخ الحارة هليهليـاً . ويتفـاخر بخدماته التى يقدمها لأهل " **زعربانة** " ، فقد انكشفت المسألة . وتطور العتاب بـين الأسـطى " **مرعـى** " و " **المنجـى عبد اللطيف** " إلى خلاف وسباب .. تجمدت الخطوبة أثنـاء

قضاء " **عبد الله** " لفترة خدمته بالقوات المسلحة .. وأتسعت شقة الخلاف بين الأسرتين . فأثرت على العلاقة بين الخطيبين ، انسحب " **المنجى عبد اللطيف** " من جمعية الصعايدة وانضم إلى جمعية الفلاحين .. وتزوجت إبنته بمحامى الجمعية .. واكتشف " **عبد الله** " بأن " **عواطف** " كانت تسعى إلى الزواج .. وليس إلى الحب . وفى ذلك أى شخص " **مستور** " يسد الخانة الفارغة !

•••

١٢

" على من يرغب فى العيش متوائماً
أن يقوم – من حين لآخر –
بمسح الأيام التى تتسخ ﻫ من الذاكرة "
•••

أمضى " **عبد الله** " عاماً فى خدمة القوات المسلحة . جندى عادى . لم يتطلع إلى أن يكون ضابطاً احتياطياً ويبات منقسماً بين حياته المدنية والعسكرية . القرار بافساد خطوبته اتخذه من حوله . هو – فقط – أومأ بالموافقة .

كان قد توصل إلى أن مواصفات الزوجة التى يتمناها لم تتوفر فى " **عواطف** " التي رأى بأن تكون ذات شخصية تصلح لأن تلعب عدة أدوار .. أن تكون صديقته وعشيقته ومتجددة دوماً . وكان والده قد ربط " **عنايات** " بشقيقه " **عبد الرحمن** " .. فقد أعطى والده لوالدها كلمة وهدد وغضب وأصر بأنه لن يتراجع عن كلمته لأبيها . و " **أبو عنايات** " كان قد وافق على مصاهرة "**الأسطى مرعى** " بزواج إحدى بناته لواحد من أولاده . فلم يجد غضاضة فى

أن يكـــون زوج " **عنايـــات** " هـــو " **عبـــد الله** " .. أو " **عبد الرحمن** " ، فكلاهما تخرجا من الجامعـة . وكلاهمـا يعمل ، بل يتشابهان ببعضهما إلى حد كبيـر .. " **عبـد الله** " بات موظفاً في مصنع الحلويات . و " **عبد الرحمن** " موظفاً في مصنع النسيج . وما هـال " **عبـد الله** " أن " **عنايـات** " توافق على الزواج من شقيقه مع أن الأهل من الطرفين كانا يرشحاها له . فيما بعـد صـرحت بأنهـا عنـدما شـاهدت " **عبد الله** " شعرت بأنه يصلح كأخ لها . أما " **عبد الرحمن** " المشاكس . هو الذى غازلها وأفصح عن رغبته فيها .

ولعل " **أم عبد الله** " عندما استشعرت بأن الأجـواء باتت خالية من " **عربدة** " زوجها . قامت بترشيح " **سـعاد** " إبنة خالتها لولدها " **عبد الله** " وحدثته عنها . وكانـت تـرى بأن أهم ما يميز " **سعاد** " الحاصلة على الثانوية بأنها سـت بيت ممتازة وأن عيونها ملونة ولا عيون الخواجات ، كمـا أنها مدبرة وستكون حريصة على بيتها مثل أمها التى دبـرت حال زوجها – صاحب الكيف – وتفتفت من ورائـه حتـى جعلته يشترى أرضاً ويبنى عليها بيتاً كبيراً فى سيدى بشر .

كما أنها خططت أن يفتح لإبنها دكاناً تحـول إلـى " **سوبر ماركت** " يكسب ألوف الجنيهات شهرياً . مما جعـل والده يستقيل من عمله بشركة " **النحاس** " ويدير المحل مـع إبنه ، فالمحل كبير وبه عشرة من العاملين ويحتـل الطـابق

الأرضى كله من بيتهم فى " **ميامى** " . ويزدهـــر فـــى أيـــام الصيف .. وأضافت بأن خالتك " **أم سعاد** " لــديها "**كـــابين**" على شاطيء " **أبو هيف** " وستدعونا دائماً لقضاء العطـــلات على الشاطيء لتتذوق الطعام المدهش الذى تعــده " **ســـعاد** " وتتفنن فيه .

لكن " عبد الله " كان يرجو أمه بأن **لا تفاتح أحداً فى مسألة الزواج ، حتى يستقر رأيه نهائياً على من سيقترن بها.**

– إوعى يا ماما تكونى اندبيتى مثل بابـــا وفـــاتحتى خـــالتى " أم سعاد " فى مسألة الزواج .

– أنا يا ابنى .. أبداً . لازمن إنت توافق أولاً .

– ضرورى العروسة كمان توافق .

– ماهى موافقة يا " عبد الله " .

– يعنى فأتحتيهم فى المسألة ؟!

***

كان " عبد الله " قد عثر على ضالته – مـــع بعـــض التعديلات فى المواصفات التى لم تكـــن ضـــرورية ، فــــ " **فريال** " شقيقة زميله " اسماعيل " . تصادق معه منـــذ أيـــام الدراسة . أمكن أن يقدم له فى وظيفـــة بـــشركة " **الـــسجاد** " والتى تقع مجاورة لشركة " **الحلويات** " . فقبل فـــى وظيفـــة " **محاسب** " مخازن بها . وتوثقت عرى الـــصداقة ليتبـــادلا الزيارات المنزلية فيشاهد شقيقته " **فريـــال** " .. أنهت دراستها

بكلية التربية وعينت مدرسة بالتربية والتعليم .. مدرسة علوم بالمدارس الاعدادية بالرمل . رآها – من النظرة الأولـى – تجمع أشياء عديدة من التى تدهش والديه . الطول . الـشعر المناسب . البياض . العيون الملونـة . اهتمامهـا بالثقافـة " يكون لدارسى العلوم اهتمامهم الخاص بالآداب " ..

" **يوسف إدريس** " كان يدهش " **عبد الله** " بقصـصه ورواياته وهو خريج كلية الطب " – فريال تقرأ كثيراً . مما جعلها فى مستوى أية مناقشة تنحو نحواً سياسياً ، ثقافيـاً أو أدبياً . وأدهشه بأن لها رأياً فيما تقرأه . " **عبـد الله** " وهـو يستمع إليها . كان يتأملها منجذباً إليها . كان حضورها يمـلأ فراغ المكان ، البنت المثقفة غيـر المدعيـة فـى المجتمـع الشرقى الذى لم يتخلص بعد من مادياته ، ثروة لا تقدر بثمن . صوت " **فريال** " يظل يدوى فى رأس " **عبـد الله** " حتـى عندما يكون وحده . ثم بات ينام علـى صـورتها . سـارع وفاتح صديقه " **اسماعيل** " . كان يخشى من انقـلاب يقطـع صلته ببيت " **فريال** " .. والـدتها تلقـت تعليمـاً متوسـطاً وتوظفت لفترة فى وزارة الشئون الاجتماعية . عندما بـات والدها مديراً فى أرشيف وزارة العدل . مع عائـد مناسـب يأتيه من الريف كإيجار لعشرة أفدنة ، فقد كفت زوجته عـن العمل وسوت " **معاشها** " وفى ظل تلك الروح يمكـن لمـن يسمحون له بالدخول إلى منزلهم . أن يكون صديقاً للجميع .

إذا ما لم يتقبل " **اسماعيل** " رغبته الـصادقة بتلـك الـروح فسوف يخسر كثيراً . ومع ما كان يستشعره " **عبد الله** " مـن مخاوف ، فقد اندفع وصارح صديقه برغبته فى الزواج مـن أخته " **فريال** " – حدد الاسم ، فـ " **اسـماعيل** " لـه أخـت أخرى " **منى** " تصغر " **فريال** " ولكنها منطوية ولا تـشارك فى استقباله . " **اسماعيل** " تقبل العـرض بـدون حـساسية مراعياً روح الصداقة .. ثم أبلغه بأنه سيعرض الأمر علـى " **الأم** " فإذا ما حصل على موافقتها سوف تنزاح كثيراً مـن العوائق أمامه . لكن " **عبد الله** " رغب فى أن يفاتح " **فريال**" أولاً .. فوجيء " **عبد الله** " برد " **اسماعيل** " :

– " **فريال** " ؟ فريال معجبة بك وأظن بأنها كانت تنتظر منك تلك الخطوة ! المشكلة ليست فى " **فريال** " . المـشكلة فيمـا تدبره " أمى " وفيما تتطلع إليه ! ولكل أم تصوراتها فى تلـك المسألة . ما أنت عارف يا عبده ..

•••

كانت الوحدة بين القطرين المصرى والـسورى قـد أتت بالعديد من أبناء سـوريا إلـى مـصر . بنايـات فـى " **المنـشية** " باتت تطل على سوق . أطلق عليه الإسكندرانية " **سوق سوريا** " تباع فيه البضائع من جميع أنحـاء العـالم وتحتل فيه المصنوعات السورية مكانـاً بـارزاً .. التجـار السوريون سكنوا فى " **المنشية** " وانتشر بعضهم فى ضاحية

" **الرمل** " . التاجر " **علوان الناعورى** " كـان لـه مـصنع صغير يصنع علب الجواهرجيـة وعلـب الهـدايا المغلفـة بالقطيفة الملونة ، جاء شقيقه " **ممدوح الناعورى** " لمعاونتـه فى صناعته ، تعارف " **علوان الناعورى** " علـى الأسـتاذ " **عارف اسماعيل** " . وكل منهما احتفى بالآخر . وإذا بأسرة " **فريال** " تستقبل التاجر السورى مع زوجتـه علـى مائـدة إفطارهم فى رمضان . والتاجر السورى رد هـذه الـضيافة بدعوة الأسرة إلى شقته الجديدة بـ " **كليوباترا** " . كان شقيقه الشاب " **ممدوح** " قد وصل من سوريا . وجلس على السفرة فى مقابل " **فريال** " التى أشادت بالوحدة بين الدول العربية . وأظهرت شيئاً من ثقافتها ، وذاب " **ممدوح الناعورى** " فـى جمال ورقة وثقافة " **فريال** " .

طلب من شقيقه بأن يخطبها له وأن يوافق على كافة الشروط ، فقد كان " **إرثه** " متروك لشقيقه " **علوان** " كشريك فى تجارته وصناعته . و " **أم فريال** " إذا ما وصـل إليهـا العرض بأن الناعورية على أتم اسـتعداد لتقبـل العـروس بشنطة هدومها وسيقع على العريس تجهيز كل شـيء . بـل وكتابة عقد الشقة فى " **مـصر** " بإسم ابنتهم ، فإن ذلك وجـد القبول ، ومسألة الزواج عند الأسـر المتوسـطة تنحـصر همومها فى التكلفة التى تذيب معظم مدخراتهم .

فقد كان العرض الناعورى يــضرب علــى الــوتر الحساس . وافقت الأم وبالتــالى ســوف يوافــق الأب . و " **فريال** " طلبت مهلة للتفكير . لكن الأم سمحت لــ " **ممدوح الناعورى** " أن يأتى يومياً ليتحدث مع خطيبته ممــا أكــسبه تأثيراً مباشراً . وكل منهما يتعرف على الآخر . " **ممــدوح** " كان شاباً يافعاً . من يشاهده يظن بأنه ضابط ضمن ضــباط الحرس الجمهورى – من هؤلاء الذين لا يدخلون فى ســلكه إلا بعد اجتياز العديد من الــشروط البدنيــة والعقليــة ومــا يسمونهم " **على الفرازة** " . كما أنه كان ميسور الحال . أتى فى وقت الجميع يتغنى بالوحدة . وكــأن مــا يحــدث بــين " **ممدوح** " و " فريال " لهو عمل قومى يتفق ومضمون كتيب " **عبد الناصر** " حول فلسفته التى تمد البــصر إلــى الــدول العربية كأساس لثورة " **يوليو** " ..

***

تزوجت " **فريال عارف** " من " **ممدوح النــاعورى** " فى ثلاثة أشهر . إذ تأخر طلب " **عبد الله** " قليلاً ففاتت عليه الفرصة . و " **أم فريال** " كانت قد وازنت المــسألة فوجــدت بأن " مصلحتها " فى زواج ابنتها من " **ممدوح النــاعورى** " القادر على الانفــاق " **مــن مجاميعــه** " والمقبــول شــكلاً وموضوعاً . هى عدة شهور .. أكثر قليلاً من نصف عــام . كانت " **فريال** " قد سافرت مع زوجها " **ممدوح النــاعورى** "

إلى " **اللاذقية** " .. **الوحدة** العربية وجهــت لــــ " **عبــد الله مرعى** " "**لكمة**" شخصيته . وأمام التيار الدافق للوحــدة لــم يفكر كثيراً فى موقف " **فريال** " . وكيف لــم تتــرجم ذلــك الانسجام الذى كان يتواصل بينهما فى المناقشات " **إلى حالة تعاطف** " . ولم يحاول " **عبد الله** " أن يسقط حظه العاثر على رأس صديقه " **اسماعيل** " ليجعل من صداقتهما كبش فــداء . . لم يغضب من أحد . وإن كانت العلاقة بينهما قد انكمشت . حتى أنها لم تعد تأخذ الحيز الذى يطمح كل منهما فيه . وظل الأمل يراود " **عبد الله** " بأن تعود الميــاه إلــى مجاريهــا . ولكنهما فى الواقع كانــا يبتعــدان. وقــد حــدث أن تــدخل " الكزبرى " وجماعته فى وضع حد للوحدة . لكن " **ممــدوح الناعورى** " لم يفرط فى زوجته التى أنجبت له ولدان .. كان " **عبد الله** " يتتبع أخبارها التى تضاءلت إذ حصل "**اسماعيل** " على عقد عمل فى الإمارات وسافر إلى الخليج .. فأنطوت صفحة أخرى لمرحلة فى حياة " **عبد الله** " .. فــى الواقــع المراحل لا تنفصل .. إنها تتداخل فى مراحل أخرى حتى أن المشاهد البينية بين مرحلتين . لا يمكن إحالتها لطــرف دون الآخر .. ففى الوقت الذى تطوى فيه الــصفحة .. يــنغمس " **عبد الله** " فى مشاهد صفحة أخرى تكون مفتوحة أمامـــه .. حتى أن طغيان الحاضر ينسيه الماضى القريب تمامــاً .. و " **رحاب** " بحيويتها تحتل كامل المشهد وتأسره فيه ....

١٣

" الأشياء التى ضاعت .. تخلد إسمها "

•••

ما بين رأس السهم القادم من الماضى ورأس السهم القادم من المستقبل . ينحصر " **عبد الله** " فى ذلك الحاضر المتوتر . يحاول أن يتوارى خلف صفحات الكتب وأغلفتها . يذوب فى السطور كمن ينتظر حدثاً جللاً لايعرف مدى قدرته التدميرية .

" **عبد الله** " يعرف نفسه ، إنه لا يملك بطولة يتباهى بها . بطولته تتلخص في أنه يتحمل رأس السهم الماضوى فى جنبه الأيمن ، ورأس السهم المستقبلى فى جنبه الأيسر مقسوم على نفسه . ممزق إلى أجزاء ، كل جزء يلعب دوراً متناقضاً مع الآخر ، فيكون عليه بأن يقف ويتأمل ويدون ما تعتريه حالته من تقلبات .. لعله يسأل نفسه " ما قيمة أن أعرف " ؟ ! " ثم يواصل جمع أشتات المعرفة . كمن تكتنفه الشكوك . يكون معلقاً بين هذا الشك وذلك اليقين .

معارف كثيرة تحيطه . " **بات سهلاً أن تعرف .. باتت المشكلة أن يكون لك قدرة على المعرفة وأن تعرف كيف يكون لك منهجاً فى البحث . فأنت لن تستطيع أن تلم بكل شيء . لكن تستطيع أن تتدرب على منهج بحث يسهل لك العملية . وما عليك إلا أن تحدد . فى ماذا تبحث وأى أنساق سوف تتسلق عليها . كما يتسلق القرد على أغصان الشجر . كيف تستفيد مما حولك دون أن يتغلب عليك شعور بأن كل شيء يندفع إلى موات !** " .

" **عبد الله** " تزدحم حياته بالنقائض . بالوجوه . بالشوارع . بالقصص . بالأساتذة . بالتلاميذ . بالأصدقاء . بالزملاء . بالجيران . بالأدوار ، فقد لعب فى كل مرحلة عدة أدوار .. وجمع فى خرجه ما لا يحصى من التذكارات . يتدرب كيف يجعل من عمره أكثر من عمر ، ومن عمر مدينته الضارب فى التاريخ عمراً لنفسه . أن يجعل من تقلباته طبقات .. يحتفظ بها فى مكان بارد . إذا ما عرضها لحرارة الشمس ، تفككت المراحل وبات قادراً على استخدامها كمادة نافعة له ولغيره . نأى بنفسه عن تلك الحالة " **الميئوس منها** " بأن عمره سيقاس باللحظات القصار من عمر المدن !

هل يحصر " **عبد الله** " ابداعاته فيما هضمه الماضى ولفظه كنفايات ؟ !

أم أنه سيحاول فى الصعب . ويكيف الحاضر والمستقبل ؟ من يجتر الماضى ما هو إلا إنسان عادى .. أما الذين يستشفون المستقبل فهم الجسورون .

" عبد الله " فى ممارساته الابداعية . اتبع خطوات التجار . غلف القديم بأغلفة جديدة من الحاضر – المقدور عليه – لترويج بضاعته ، فالراديو الذى كان يفرد له مكان خاص ، وفى بعض البيوت عالياً متوسداً رفاً أنيقاً ومكسواً بكسوة من المشغولات بالإبرة وخيوط الحرير .. انداح بعيداً ليفسح مكانه للصورة المرئية . لذلك الجهاز الكاسح الذى سيتدخل بقوة فى علاقات انسانية انبثقت عنها الحدوتة والقصة والرواية . مما سيضرب عادة القراءة .
حتى أن السؤال . لمن نكتب ؟ بات مطروحاً بقوة ليتعثر البعض فيه ويكفون عن الكتابة ..

" عبد الله " لا يكتب لأحد . إنه يكتب لنفسه ، فيكون صادقاً فيما يكتبه . " فى الواقع يتمنى لو أن القراء انجذبوا لما يكتبه وأمكن استعادتهم من الشاشات .. التى تمثل خطراً على الأذهان بمشهياتها ، فتكون النتيجة أن أشهر الكتاب أصبح يتساوى مع أصغر الكتاب ، فكلاهما يقرأ له أصحابه . وما على الكاتب إلا أن يعد كشفاً لدائرة أصحابه ليهديهم مطبوعه . ويحصر جهوده فى توسيع تلك الدائرة ويلق

معظمهم بكتبه في رفوف مكتباتهم ليتابعوا مباراة هامة تحاط بالدعاية،ويا ويل من يصادفه كأس العالم في كرة القدم !

" **عبد الله** " ليس شاذاً عـن القطيـع .. أراح نفـسه واتخذ موقعه بجانب القراء " **الهواة** " . تلك العادة وضـعته في محله الصحيح . إذ كيف ينافس كبار الكتاب ؟ أصـحاب شلل النقاد ، والذين تمهد لهم السبل مؤسسات كبرى ، ومـع ذلك يعانون ركوداً .. " **عبد الله** " إذا ما شرع فـي الكتابـة يضع في اعتباره بأنه يبوح لنفسه على الورق . ليكون هـو القارىء ، وإذا ما أتيح لبعض ما يكتبه أن ينشر ، فهو يتخير عملاً لا يرفض لجرأته ويبقى بالأعمال الأخرى حتى تتحسن الأحوال الديمقراطية . بما لا يجعـل المتأسـلمين يفـوزون بالحكم ويتدكترون . في محاولاته الأولى التي كتبهـا تحـت تأثير موقف معارض . كانت " **ثورة يوليـو** " قـد صـدمته بشنقها " **خميس والبقري** " العاملان بشركة " **كفر الدوار** " . اللذان تم القاء القبض عليهما علـى إثـر قيـام إضـراب واعتصامات بالشركة في مطلع حركة الجيش المباركة ليلفت العمال نظر " **المصلحين** " إلى تردى حالهم السيء ..

وحركة الجيش المباركة التي كانت تدار بمجلس قيادة الثورة،بيده الخيوط التي تحرك شخصية " **محمـد نجيـب** " كرئيس .. لواء طيب الملامح . كفلاح لفحته الشمس في زى ضابط كبير . البايب لا يستطيع أن يحول التفكير إلى ثقافتـه

الانجليزية ، ذلك المجلس اتخذ قراراً عنيفاً . يخض الطبقة العاملة ويردعها .. شنق إثنين من العمال دون مبرر كاف .. عمل رادع لم يتم اتخاذه فى أقسى أحوال،يمر بها العمال بالرأسمالية التى كان يسيطر عليها الأذناب وعملاء الاستعمار . الانجليز عندما كانوا يلقون القبض على زعيم وطنى ، كانوا ينفونه خارج البلاد لفترة . ثم يعودون به . ليحتفى الشعب بعودة زعيمه .. وتطيب الجراح . الانجليز لم يعدموا " **عرابى** " ورفاقه أو " **سعد زغلول** " ورفاقه . وكان فى إمكانهما ذلك .. وبيدهم قطاع من الشعب كان سيؤيد هذا الاجراء . ويعضد الانجليز فى اتخاذه ..

" **عبد الله** " المتعاطف بشدة مع " **ثورة يوليو** " وقد اتخذ من قائدها " **أباً** " .. كان يغلى وهو يتسائل " **لماذا ؟** " .

وهل يمكن أن نقول عن الثورة بيضاء ، لأنها لم تقتل إقطاعياً . قاومها " **عدلى لملوم** " قاومها بالرصاص ولم يعدم .. " **هل دم العمال كالماء حتى أنه لا يلوث بياض الثورة فتزهق روحين لكادحين .. وتستمر الثورة بيضاء ؟**".

حول ذلك الموقف كتب عبد الله رواية " **المشوار** " . ملأ بها ثلاثة كشاكيل . وأعاد كتابتها مرتين،وظن بأنها " **بيضة الديك** " التى ستلفت إليه الأنظار .. بطلها أحد العمال الذين يتخذون موقفاً حاداً أمام الاستغلال الذى يعانيه العمال ، فيضرب عن الطعام حتى تجاب طلباته . وهو فى الواقع

يلفت النظر إلى مجمل قـضايا العمـال الحياتيـة . وثمـة محاولات من ضابط كبير بأن يرغم " **المـضرب** " علـى أن " **يأكل** " ويفض الاضراب . أو يموت ميتة الكلاب . دون أن يدرى به أحد . وقد ضرب سياجاً على " **المضرب** " وأشـاع بأن زملاءه تسللوا إلى المستشفى وهربوه . وضـابط شـاب يتعاطف مع " **العامل** " ويتخذ من قضيته منهجاً لكفاحه ضـد الظلم . ويتحدى رأس المال الذى يحرك الـضابط الكبيـر . ومن خلال عرض حالة الرواج الاقتصادى للمصانع إبان أيام الحرب ، ثم كساد الصناعة التى جاءت فى أعقـاب انتهـاء الحرب ، يلقى الضوء عن خطـورة ربـط الـبلاد الفقيـرة بالمستعمرين . والدوران فى فلكهم . فهم فى كل الأحوال لن يركزوا اهتمامهم إلا على مصالحهم .

ومع حالة الاهتمام التى لاحت . عقب الافراج عـن الاشتراكيين وبعضهم عمل بالصحافة والفنون والمسرح . فقد ظن " **عبد الله** " بأن روايته الأولى تلك بعد إعـادة كتابتهـا وتجديدها . قد تأخذ حظهـا فـى النـشر . فـوجيء بـأن الاعتراض على نـشرها يتـوالى .. حتـى مـن الجهـات " **الاشتراكية** " . تخشى اتهامها بأنها لم تحل أحزابها بعـد .. وأنهم لم يزالون يشجعون آخرين على " **التمرد** " . ولم يكـن أمام " **عبد الله** " إلا أن يضيف هذا العمل **الروائى** علـى أعمال أخرى تنتظر الانفراجة الديمقراطية غير الـشكلية ..

يعود قارئاً نهماً ومشاهداً لما يقدمه " **الدراموتورجية** " فـــى سوق الابداع من بقايا حواديت أمنا الغولة . وكيف أمـــسى الصياد الفقير والحمال الأفقر وزراء فى قـــصر الـــسلطان . لأن ست الحسن والجمال عشقت الصياد أو الحمال . وكـــأن حالة العشق من ست الحسن للصياد الفقير سوف تنقـــل إليـــه خبرة العمل كوزير . لكن ما دام لـــص بغـــداد بـــات قائـــداً عسكرياً يضع خطط عسكرية أفضل مما قام به " **خالـــد بـــن الوليد** " . فما المانع أن يكون الصياد وزيرا !

وأمام ذلك الطوفان من " **الحواديت المسلية** " التـــى تكتب فى كتب . وسريعاً ما يقوم " **درامـــاتورجى** " بكتابتهـــا للإذاعة . ومن الإذاعة تنتقل إلى التليفزيـــون فـــى مسلـــسل يغطى شهراً . ثم تعقد علـــى مـــدد " **الروايـــة المسلـــسلة** " مجموعة ندوات ، فقد كان على " **عبد الله** " الروائى أن يتعظ . أو يموت من الغيظ ..

كان علي " **عبـــد الله** " أن يحفظ لنفسه روحه المرحة ، أن يطوى المسافات ويطرق باب " **سيدة القـــصر** " التـــى ترفقت به يوماً وضمته إلى عشاقها . فى قـــصرها يتجمـــع الكتاب الكبار ويمكن أن يحاورهم ويستمع إليهم . ويتمعن فى أحاديثهم الشيقة .

– أنا " **عبد الله بن مرعى** " من حزام المدينة البيضاء .

هل تسمح لى يا سيدى بالجلوس فى حضرتك ؟

- بما أنك تواضعت فأنا الآخر لا بد وأن أقدم لك نفسى .. أنا " **أحمد بن يحيى بن جابر** " . أنا نديم الخليفتين . المتوكل والمستعين . عملت لفترة مؤدباً " **لعبد الله** " بن " **المعز** " . وكنت محل ثقة ومطلع على حركة الحوادث التى وقعت فى القرن الثالث الهجرى . وأنا الذى أوردت أخبار " **المذبحة** " التى قضت على الحامية العربية التى تركها " **عمرو بن العاص** " عندما فتح الإسكندرية سلماً عام ٢١هـ . وتوغل مع معظم جيشه لفتح " **ليبيا** " والوصول إلى " **طرابلس** " . كان الخليفة " **عمر بن الخطاب** " قد توفاه الله . وجاء " **عثمان بن عفان** " . فعزل " **عمرو بن العاص** " . وعلم الروم بذلك فتآمروا للعودة إلى الإسكندرية عن طريق البحر .

فأرسل " قسنطين بن هرقل " قائده مانويل الرومي بجيش إلى الإسكندرية ، إذ أن عمرو بن العاص قد أخطأ خطأ كبيرا بتركه حامية لا تزيد عن ألف رجل في مدينة كبيرة كالإسكندرية بها فئات كبيرة من اليونان والروم واليهود والقبط المصريين . وقد ألزم الجميع بدفع الجزية التي لم تكن متساوية ، بل أنها تتزايد مع قدرة الشخص على الدفع . والحامية أسكنت في منازل كان يقيم بها عسكر الروم فقد تسللوا إليهم في ليل بعد حضورهم إلى الساحل . وأمكن

للروم بأن يذبحوا حامية العرب ذبح الشاه .. فسالت دمـــائهم أنهر على بلاط شوارعها وأسوارها .

وقال البلاذري وهو مكتئب حزين :

" ثمن فادح دفعه العرب المسلمون في الإسكندرية ، فمعظم من ذبحهم الروم كانوا من الذين استمعوا للرسول الكـــريم وأخذوا عنه "

•••

فى ذلك استمع " **عبد الله** " إلى " **أبى جعفر محمد بن جرير** " الشهيير " **بالطبرى** " . لولادته فى " طبرستان " عام ٢٢٤ هـــ . ومن أهم مؤلفاته " **تاريخ الرســل والملــوك** " . وقد اشتغل " **الطبرى** " بالقرآن والسنة النبوية ، حتى كان من أشهر مؤلفاته " **تفسير الطبرى للقــرآن الكــريم** " فعــرف بالنزاهة وصدق عنه ما يرويه من تاريخ البلدان . وقد أطلق على فتح " **الإسكندرية** " الثانى الذى تم فى عام ٢٥ هـــــ . " **الفتح الكبير** " . وبيّن كيف أنزل " **عمرو بــن العــاص** " العقاب بالروم لحنثهم بالوعود والمواثيق وخــذلهم الحاميــة المسلمة بالمدينة !

وأشار بأن فى ذلك استفاد قبط " **مصر** " ، إذ أسندت إليهم بعد الفتح الثانى بالإسكندرية . - ولمعاونتهم الـصادقة " **لعمرو بن العاص** " - وظائف الروم وتجارتهم وقصورهم " ولم يعد يُطمئن المسلمون لغيرهم . ليبدأ العــصر العربـــى

بالمدينة . بعنصرين متحدين . لا يمكن للمدقق أن يفصل بين عنصر وآخر من الناحية الشكلية .. كما أن العنصرين اعتنقا عادات قديمة انحدرت لهما من الجـدود القـدامى . فكانـت الحضارة العربية تجمع كثيراً من عادات " **الجماعة** " ، فـإذا اجتمع القوم على " **شيء** " أضافوه إلى حياتهم وانتفعوا به ..

وفى ذلك هضمت حضارة " **الـزراع** " .. عـادات " **الرعاة** " .. وثقفتها من البداوة والأشواك !

•••

١٤

إذا ما سكر – هواء مدينتى – عربد .. وقطع على الطريق . لكنه لن يمنعنى من الوصول إلى " الشارع " الذى تسكنه حبيبتى . فهو – عندى – أفضل الشوارع "

•••

الكريتلى .. الاسطامبولى .. الصقلى .. الرومى .. الأفرنجى .. التركى .. القبرصى .. الكرارجى .. الأناضولى .. الشامى .. إلى آخر نهايات الأسماء بالمدينة المتفرنجة .. عائلات عريقة ، كانت لها بيوتها التى تدفع بأبنائها لتمسك بأعنة المناصب والمهام بالقلب .. وعلى الأطراف ظهرت العائلات .. التى تنتهى أسماء أبنائها .. بالسوهاجى .. القناوى .. الأسوانى .. المنوفى .. الدمنهورى .. البحراوى .. البنهاوى .. المنصورى .. الأسيوطى .. الإسناوى .. إلخ .

لكن الأبناء سوف يسقطون تدريجياً تلك **"الانتسابات "** عندما يصير الاسم خماسياً أو سداسياً .. والمطلوب فى الغالب الاسم الثلاثى .. !

فيندمج الجميع بالمدينة التى لا تفتح ذراعيها إلا لمن يتخذها أماً دون غيرها ..

وسيكون لأطفال تلك الأم .. طبيعـــتهم الخاصـــة .. فمن النظرة الأولى لن يستطيع أحد أن يفـــرق بـــين جـــدهم وعبثهم .. ضحكاتهم وأحزانهم .. ثورتهم وهدوئهم .. مدهم و جذرهم . وكيف انهم – من كبيرهم لصغيرهم – يتـــسمون بدور لصوص الموانئ .. إذ يبـــدون جـــادين فـــى عملهـــم وعيونهم على نصيبهم الذى حددوه لأنفسهم ســـلفاً ضـــاربين عرض الحائط بتلك " **الحقوق فى الملكية** " التـــى حـــددها البعض لأنفسهم .. مصرين على أن يقاسمونهم ذلك التمـــايز بدون السلسال العائلى وبالإصرار على قـــانون " **الأشـــتات** " الذي يتنفس بداخله الجمهور بدون ســـلطات ملكيـــة .. إنهـــا جمهوريتهم قبل أن يتقرر النظام الجمهورى بزمـــان . أنهـــم يدوسون بأقدامهم فوق الشعور بالدونية . جميعهم " **تحت** " أو " **فوق** " يبتعدون عن المثلث ويتشكلون فى دائرة ... فمـــاذا يعنى ذلك الشعور الذى نطلق عليه " **الزهـــو** " إلا أن نكـــون فائزين . أما " **الدونية** " فعندما نكون خاسرين ؟ !

" **عبد الله** " يدرك بأن ذلك قد انحصر فى الامـــتلاك .. حالة الامتلاك التى تجعل القادر قادراً بأموالـــه أن يحـــيط نفسه بالقوى لتنفيذ رغباته ..

والذين سيتطلعون إلى " **مكانته** " هم المستـــشعرون بالدونية .. أما الذين هم خارج " **الرغبات** " يـــسلمون بتلـــك الخطوات البطيئة التى يحققونها فى الخفاء ، بأنها انتصارات

حثيثة . لكن وجود الإجابات أو " **غموضها** " قد يلمس فـــي ذهن " **عبــد الله** " بؤر جنون حارقة . حتى أنه إذا أفصح بما يمور فى نفسه من تساؤلات لمن يثق بهم . التفتوا إليـــه فـــي دهشة وسألوه :

– ما بك يا " **عبد الله** " .. هل تريد أن تكون فيلسوفاً ؟ !

" الفلسفة تعنى موقف من الحياة تحدد أو فى طور التحديد "

•••

اللطمات تكون مؤثرة إذا ما جــاءت عنــد مرحلــة الطفولة " **أحياناً مرحلة الطفولة تمتــد علـــى طــول عمــر الإنسان**". إذا به من تلك اللطمات يمكن للمرء أن يعدل فـــي مساره وأشد اللطمات عل نفوسنا تلك التى توجه لمن نحبهم !

آباؤنا عندما يكون لهم فى نفوسنا هالة من العظمـــة .. ونراهم مرغمين على قبول شيء .. به إذلال .. لم نكـــن نتوقعه .. هنا تحدث الثقوب .. تثقب الجدران الصلبة فيخـــر منها ذلك العشق النبيل ، ليفسح مكاناً للحزن الثقيــل . هنـــا سوف يكبر الأطفال فجأة ويمروا سريعاً بمرحلـــة الكهولـــة والشيخوخة دون افتخار بأية محطة وقفـــوا عنـــدها . هنـــا سيتوالد فى النفوس ذلك التحدى كحبل نتمسك به ليرفعنا من البئر المظلم ، إلى ما كنا عليه من بهجة وضاءة .. شفافة !

التحدى لن يتعاظم إلا بصدمات جديدة من " **الأجوبة للأسئلة المثارة** " .. الأجوبة التى لم نتخيلها . الأجوبـــة المفروضـــة

لتثبيت الفروق والتمايزات والمواضع . أن يكون هو هنـاك وأنت هنا .. هو فوق وأنت تحـت .. هـو المالـك وأنـت المملوك . ومع السخونة الشديدة لمن هم أصـحاب خيـال ، ستقوم المطارق الثقيلة بتمديد التحديات فى النفـوس . تلـك التى تغرق فى الغيظ والحنق ، عندما يرفعون فـى وجهـك أياديهم لتقف مكانك ولا تتقدم .. يثبتونك بشتى الحيل والسبل ، فلا تخطو فى مناطق نفـوذهم . هـذا النـادى .. وذلـك الشاطىء .. وتلك الطبقة.وعليك أن تبتعد .. ستلتفت حولـك فتجد أنهم حصروك فى . مدينتك . بموقع له حدود ضيقة .. **" ما السجن إلا موقع له حدود ضيقة "** .. وإنك لا تـستطيع أن تمارس كامل حريتـك دون أن تكـون واحـداً مـنهم .. **" علامة الجودة فى تجمـيعهم لـورق البنكنـوت "** . هـل سينحصر تفكيرك وتعتصر حياتك فى جمع هذا الورق لتكون واحداً منهم ؟!

ومن الذى سيمكنك من ذلك ؟! .. وهل يتـساوى – هنا – حق المواطنة ؟! . مؤكد سيكون لك جانب – تـود أن يقوى لتتقوى به .. مؤكد أنك ستكون شديد الأسـف عنـدما تشاهد البحر بذلك الاتساع .. وتجد من يطوح بك بعيداً عنـه – إذ أن الشاطىء بات خاصاً لفئة لديها تمايزها .. !!

•••

" **عبد الله** " إذا اغتر بالكثرة التى حوله وظـن أنـه يمكن أن يكون قوياً بهم ليهزم خفراء التمايز أو يجبرهم على أن يشركوهم معهم . هزموه بنفوذهم وقدرتهم . بتلك القوانين التى وضعوها لأنفسهم وكبلوه بها .. وعندما يكون الحـارس فى الزى الرسمى ، فمن الخطأ إطالة المجادلـة إلـى حـد الشجار .. و لـ " **عبد الله** " درس استقاه من أفعال صـديق وفى . وقع فى ذلك المطب . ضربوه فى قسم الشرطة حتـى خر مغشياً عليه .. اشترك فـى ضـربه معظـم العـساكر والأمباشية مجاملة لزميلهم الذى غـضب .. ولمـا توسـط الوسطاء حتى ينتشلوا " **الصديق** " من قضية اعتـداء علـى شرطى أثناء تأدية وظيفته . وصفيت النفوس بتقهقر الصديق مع ابتلاع الاذلال ، فقد تحول إلى صداقة ذلك الـشرطى – يتحرج الصديق أن يسمى العلاقة تعاطفاً – إذ وجد الشرطى فقيراً معدماً .. عياله بياعين لأشياء تافهـة فـى الـسوق . وامرأته لفقرها تنكد عليه عيشته ، وتبين له أنه يعيش علـى صدقات يمنحها له " **البعض** " بعد أن يمرغ كرامته في تراب أحذيتهم . هنا أخطأ صديق " **عبد الله** " الخطـأ الأفـدح . إذ راح يتعامل مع وعي الشرطي ويضع يده على أسس مشاكله . والشرطي يطرق بالموافقات ما دام الصديق سـيدفع ثمـن الطلبات بالمقهى وينفحه من حين إلى آخر سيجارة ويـشعلها له .. استزاد .. والزيادات تضخمت بالمزيد . وتـم تفريـغ

الحمولة على مكتب الضابط المكلف بالبحث في الأذهان وفصل الأفكار الهدامة المحلقة ، عن الأفكار التي تزحف على الأرض . واستدعى صديق " **عبد الله** " إلى المبنى المختبئ بين أغصان الأشجار الضخمة . وحوكم صديق " **عبد الله** " لحقده على زبدة المجتمع وطبقته العليا ، على أنه يحاول هدم الأنساق في ليل وإثارة الفوضى في طبقاته . والشاهد الوحيد كان ذلك " **الشرطي الفقير** " الذي عطف عليه كثيراً . ذلك الفقير الذي اتخذ شكل الكلب الأليف .. وتحول إلى ذئب ضار ..!

ولما كان المحامي الكبير " **كبير بالفعل** " فقد أمكنه التشكيك في أقوال الشاهد الوحيد بصفته يعمل ذنباً للضابط .. وأن ما أجبر موكله على الاعتراف به كان تحت ضغوط وإكراه ، تم بداخل المبنى المختبئ بين فروع الأشجار الضخمه ، فقد أفلت صديق " **عبد الله** " من السجن الذي كان ينتظر أن يمضغ " **مستقبله** " ويلفظه كالبصاق .

ومع أن الدرس كان واضحاً .. استوعبه " **عبد الله** " تماما ، إلا أن لكل جواد كبوة . إذ أن عسكر بلوكات النظام يتحركون كبلوك أسبرطي له صيحة واحدة . وضربة قدم واحدة . وضربة نبوت واحد . فقد تلقى " **عبد الله** " أولى دروس " **الوطنية** " على طرف نيابيتهم الغشيمة ، عندما كان

ينفض عن نفسه مع آخرين ذلك الشعور المهين بالنكسة .. مطالباً بمحاكمة المسئولين !

من هنا سيكون تداخل المرحلة العامة في مراحل العمر الخاصة له مغزى ، يشبه تماماً اقتحام سيارة مسرعة لمقهى هادئ يجلس على موائده رواده الرومانتيكيون .. يهمسون بأمانيهم ويتأنقون في ملابسهم .. إذا ما أفلتت كوابح السيارة وحطمت الأبواب وباتت بداخل المقهى الهادئ ، الفوضى ستقتحم النفوس أيضاً بحالات الانزعاج.والمشهد الذي حط على المكان الهادئ ستتناثر أجزاؤه في اتجاهات مختلفة .

" عبد الله " مع عدد قليل من أبناء " الجيتو الشعبي " أدركوا بأن هؤلاء الذين يملكون التمايز بالمدينة لا توجد في حوزتهم صكوكاً للملكية . إنهم كمغتصبي الأراضي يسارعون برفع اللافتات الضخمة على أرض لم تسجل لهم ، لعلهم إذا ما تنازعوا مع أصحابها الحقيقيين فازوا بنصيب " ستكون الأنصبة أكبر إذا ما كان ملاكها أيضاً ليس لديهم صكوكاً للملكية مقرونة – ليس بقوة القانون – ولكن بقوة المرحلة ورغباتها " .

ذلك كان موضوع رواية " الإبحار في الرمل " والتي تعرضت لتلك المميزات . عندما تحط الاشتراكية سفاحاً بدون الاشتراكيين . عندما تسبق العربة الحصان . عندما

تكون الأفكار أكبر في الأذهان عن الواقع . عنـدما يركـب الضباط برذعة الدولة . ويحاولون إعادة رأسمالية " **محمـد علي** " . عندما يأتي كل شيء من فوق سهلاً .. فلا يثق في قدرته أصحابه ، ليضيع بدداً ..

•••

منذ أن شاهد " عبد الله " رتل الدبابات والمصفحات يمر في شارع " أبي قير " ويجتاز سوق " باكوس " .. متحركاً من قصر الملك الشرقي إلى قصره الغربي .. ووالده بجانبه ، ذلك المتجهم دوماً يهتف ويصفق .. ويشهق بالعبرات .. كان عمره في ذلك الوقت ثلاثة عشر عاماً . وخطر له بأن الجنود الذين قاموا بالثورة منذ ثلاثة أيام لابد وأنهم جائعون ، عطشانون . لابد وأن " **الجراية** " لم تصرف لهم ، اندفع ليقول لوالده :

– أبي أنظر إلى وجوه الجنود .. وحتى الضباط .. إنهم ولابد جوعى وعطشى ، إنهم ليسوا في حاجة للتصفيق . فقد صفق الناس لهم لثلاثة أيام مضت .. إنهم في حاجة لطعام .. على الأقل لابد وأن نقدم لهم شيئاً يشربونه .. وما كاد " عبد الله " يمسك بذراع والده ويخطره بما يجوس في ذهنه . حتى اندفع البقالون وأصحاب الثلاجات الخشبية التي تزدحم ببلاطات الثلج وزجاجات المياة الغازية . وقدموا للجنود المرطبات . تجمع الناس حولهم ، فوقف الرتل . وشربوا

المثلجات . ونزت وجوه الجنود بعرق شهر يوليو شديد الحرارة .. شديد الرطوبة ، وحلت الراحة بدلاً من الوجوم على الوجوه السمراء التي تغطي رؤوسها الخوذات في لون الرمل ، وباتت عيونهم تبرق . والضابط الذي كان في بذته غير المهندمة أشبه بكمسارية ترام الرمل ، وقف على جناح السيارة وأخذ يلوح للناس شاكراً ، فهتف الجميع .. الله أكبر . عاش الجيش مع الشعب .

" سجل " عبد الله " ذلك المشهد كمشهد افتتاحي في رواية " تلطيمةابن خليل " . والتي تتناول من خلال مكابدات خليل وولده ، العلاقات المتشابكة في غابة الميناء وأعمالها . وما يجري بين رجال الأعمال ورجال الحكومة ، وكيف ينتقل إرث التلطيمة إلى الإبن البكر طبقاً للتراث الضارب في القدم وملاوعات المدينة التي تعشق بجنون .. وتكره بنفس الجنون و " عبد الله " .. كثيراً ما تأمل نبات الصبار ، وجد الصبار يتقوت على الصبر . وللصبار قدرته على تخطي قسوة الصحراء والجفاف . وللصبار أيضا احتماله مهما تفوق على ذاته المعقوده على المر العلقم ، الصبار لا يحلم بأن يكون شجرة تفاح .. الصبار يعلم بأن التفاح له أجواء غير أجواءه . أقصى ما يتمناه الصبار أن يكون قادراً على الصبر ، قادراً على أن يتخطى قسوة الأجواء وقلة ما يصله من ماء ، قادراً على أن يعيش على ندي الفجر .. ليس غير .. ؟

الكاتب وإصداراته :

- **عبد الفتاح مرسي**
  - ليسانس آداب (جامعة الإسكندرية) . دبلوم عام من كلية التربية (جامعة الإسكندرية)
  - عضو عامل باتحاد كتاب مصر .
  - عضو نادي القصة بالقاهرة .
  - يقيم بالإسكندرية – ت : ٥٤٨٨١٥٢ – سيدي بشر .

كتب صدرت للمؤلف :

- رواية [على حافة النهار] الثقافة الجديدة ١٩٩٣م
- رواية [الدحديرة] على نفقة المؤلف ١٩٩٤م
- رواية [المحسوس والملموس] المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٥م
- رواية [المقطوع والموصول] كتاب فاروس ١٩٩٦م
- مجموعة قصص [شهوة الموقف المتحرك] دار الوفاء لدنيا الطباعة ١٩٩٧م
- دراسة [الفن في موكب الوعي] دار الوفاء لدنيا الطباعة ١٩٩٨م
- رواية [المسخوط من سيرة علي بلوط] دار الوفاء لدنيا الطباعة ١٩٩٨م
- رواية [الليل وجبروته] دار الوفاء لدنيا الطباعة ١٩٩٩م
- رواية [الإبحار في الرمل] دار الوفاء لدنيا الطباعة ٢٠٠٠م

- قصص [قبلات محطات السفر] الفنون والآداب ٢٠٠٠م
- رواية [أكثر من عمر] الكتاب الفضي ٢٠٠٢م
- قصص [أقنعة الصفاقة المدهشة] دفقات للنشر ٢٠٠٣م
- رواية [تلطيمة ابن خليل] دفقات للنشر ٢٠٠٣م
- قصص [العكاكيز] دفقات للنشر ٢٠٠٣م
- رواية [إنعطاف النهر] هيئة الكتاب مع اتحاد الكتاب ٢٠٠٣م

الجوائز :

- الميدالية الذهبية وشهادة تقدير من وزارة التربية والتعليم – الإقليم الجنوبي – كتاب عيد العلم – عام ١٩٦١م
- المركز الأول – ميدالية ذهبية وشهادة تقدير – ماراثون القصة – إبداعات القادة – جهاز الشباب والرياضة ١٩٩٦م
- المركز الثاني في الرواية – بنادي القصة بالقاهرة لعام ٢٠٠٠م عن رواية " نغدا تأكل التفاح " – شهادة تقدير وجائزة مالية .
- المركز الثاني في القصة القصيرة عام ٢٠٠١م عن قصة "صرصار جاف يتحرك" نادي القصة بالقاهرة – جائزة مالية وشهادة تقدير .
- المركز الأول في الرواية من نادي القصة بالقاهرة عن رواية " أكثر من عمر " طبعت الرواية بسلسلة الكتاب الفضي.
- شهادة تقدير عن مجموعة قصص " العكاكيز " – المجلس الأعلى للثقافة – عام ٢٠٠٣م

كتب صدرت عن دفقات للنشر

١- العكاكيز	قصص
٢- تلطيمة بن خليل	رواية
٣- أقنعة الصفاقة المدهشة	قصص
٤- صحراء الذهب	قصص